الفصل الأول

تأريخ موجز للأدب الشعبي العربي

يرتبط الفلكلور الشعبي بوصفه ظاهرة مميزة للثقافة الروحية، بشكل وثيق بالأدب خاصة لدى الأمم التي تملك أبجدية خاصة بها. وتتضح تلك العلاقة بجلاء في الأدب العربي. فقد كان الفلكلور الشعبي أساسا للأدب العربي حيث حافظ حتى في فتراته الأولى (ما قبل الإسلام) على العديد من الملامح المميزة للإبداع الشعبي الشفهي (طريقة التعبير الشفهي واستخدام الاستعارات وغيرها). وتنتشر حتى يومنا هذا أعمال معظم شعراء البدو والقرويين شفهيا. حيث لم تتح إمكانية توثيقها ورقيا وذلك بسبب أمية المستمعين (وأحيانا أمية كتاب الشعر أنفسهم)، إلا أن وجود مؤلفين بعينهم لهذه الإبداعات لا يسمح بنسب هذا النوع من الشعر إلى الفلكلور الشعبي. ويمكننا أن نورد أعمال المستعربين الروس أ. أجاريشيف[1] وم. راديونوف[2] كنماذج للشعر الشفهي.

ومن الظواهر الجديرة بالاهتمام أيضا والمرتبطة بالفلكلور ما يسمى بالشعر المكتوب باللغة الدارجة والذي كان للشعر الشعبي تأثير ودور كبير في ظهوره. وقد كان

---

(١) علي بن زايد، أشعار. تسجيل النص بواسطة أ. أجاريشيف. موسكو. ١٩٦٨.

(٢) راديونوف م. الكلمة الشعرية. كتابات من حضرموت الغربية// قضايا الثقافة العربية. مذكرات العالم الأكاديمي إ. كراتشكوفسكي. موسكو. ١٩٨٧. ص ص ٨٢-٩٦.

الشعراء العرب على اختلاف الأزمنة والأمكنة التي عاشوا فيها، يفضلون اللغة الدارجة على الفصحى. ومن هؤلاء نذكر كلا من: ابن غوزمان - أسبانيا (القرن الثاني عشر)، عمر بن المحار - سوريا (القرن الثالث عشر)[١] وعلي بن سعدون (القرن الخامس عشر)، ويوسف المغربي - مصر (نهاية القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر)[٢]، والسعد السويني - حضرموت (القرن الخامس عشر). وقد أورد المؤرخ الشهير ابن خلدون أسماء عدد من الشعراء المغاربة الذين عاشوا في الفترة من القرنين الثالث عشر والرابع عشر. فيما أكمل أ. ديربيشالييف تأريخ هذا الفن في المغرب ما بين القرنين الرابع عشر وحتى القرن التاسع عشر[٣]. وتولت أولجا بوريسفنا فرولوفا تتبع تطور الفن الشعري المصري المكتوب باللغة الدارجة حتى يومنا هذا (سواء الشعبي أو ذلك الذي يكتبه الشاعر ويلقيه بنفسه).[٤]

لقد تنوعت أشكال التفاعل المتبادل بين الأدب والفلكلور وتراوحت بين الإشارة السريعة للشخصيات الفلكلورية أو إعادة سرد المضامين وبين الصياغة الأدبية الراقية للعديد من القصص والحكايات. وقد وردت النصوص الفلكلورية ذات الشكل والإطار الأدبي في كتب المنتخبات التهذيبية وتلك التي تهدف إلى التسلية. أما المؤلفات ذات الحجم الكبير فقد تمت إعادة نقلها في مخطوطات مستقلة.

إلا أن انتشار الأعمال الفلكلورية لم يعتمد فقط على النقل المكتوب. حيث إن هناك العديد من الآثار الأدبية الفلكلورية نقلت من جيل إلى جيل عبر السرد والحكي

---

(١) إ. كراتشكوفسكي، المخطوطات العربية بمكتبة مدينة الإسكندرية // الأعمال المختارة في ستة أجزاء. الجزء الثاني. ص ص ١٥٨-١٨٢.

(٢) أولجا بوريسفنا فرولوفا. مواويليوسف المغربي // موسكو. ١٩٨٢. ص ص ١٦٣-١٦٧.

(٣) أ. ديربيشالييف، الأدب المغربي باللغة العربية. مراحل التطور الرئيسية. الماطا. ١٩٨٣. ص ص ٢١-٤٨.

(٤) أولجا بوريسفنا فرولوفا، الشعر المصري باللغة الشعبية الدارجة. نصوص جديدة واتجاهات تطور معاصرة. لينتجراد. ١٩٧٥.

وليس فقط التدوين المكتوب. ولم تكن تقرأ فقط بل وتسمع أيضا. بعبارة أخرى تطور وتكون هذا الفن عبر وسائل شفهية ومكتوبة بالتوازي. وكانت تلك الوسائل مرتبطة فيما بينها: فقد كان القاص عادة ما يستخدم مخطوطات الروايات والقصص والحكايات، وأثناء السرد يمكنه إدراج تعديلات وتغييرات في النص فيما كان المستمعون يقومون أحيانا بتدوين النصوص المحببة إليهم.

ونتيجة لكل هذه التطورات التي امتدت عبر قرون طويلة وشملت كافة البلدان العربية، ظهر شكل من الإبداع الكلامي الذي يقف عند نقطة الالتقاء بين الفلكلور الشعبي والأدب، وهو المجال الفني الذي يمكن أن نطلق عليه اسم – الأدب الشعبي العربي، الذي يضم الروايات والقصص والقصص القصيرة الشعبية ومنها العمل الإبداعي الجامع "ألف ليلة وليلة". إن كتابه الأعمال الأدبية الشعبية لا يسمح بأن ننسبها إلى الفلكلور فيما يسمح النقل الشفهي ووفرة العناصر الفلكلورية بالحديث عن الأدب الشعبي بوصفه ظاهرة مميزة ويبرزها من بين السياق العام للأجناس الأدبية.

إن دراسة التفاعل المتبادل بين الفلكلور والأدب ليس سوى واحدة من القضايا التي نتناولها في بحثنا هذا. حيث نتناول أيضا جمع أعمال الفلكلور المعاصر وإبراز العناصر الفلكلورية في الأعمال الأدبية السابقة ودراسة التطور الطبيعي للفلكلور بشكل عام وأجناسه المنفصلة ومضامينه والسمات الفنية للفلكلور العربي المعاصر.

لقد تشكل وتكون علم الفلكلور العربي بوصفه علما مستقلا بعد الحرب العالمية الثانية. وقد ساعد على ذلك حالة الوعي القومي التي سيطرت على الشعوب العربية آنذاك بالإضافة إلى التقدم العلمي بشكل عام. غير أن دراسة الإبداع الشعبي الشفهي قد بدأت منذ فترة طويلة.

وفي الفترة الأولى لدراسة الفلكلور العربي (من القرن الثامن إلى القرن الثاني عشر) كان اهتمام علماء اللغة العرب منصبا بشكل كبير على الأمثال الشعبية بوصفها أحد الأجناس الفلكلورية. وكانت الأمثال الشعبية ذائعة الاستخدام في المشرق العربي.

حتى أن تلك الفترة قد شهدت تأليف ٤٤ كتابا جامعا للأمثال العربية.[١] فقد أغلبها وتبقى ١٤منها إلى يومنا هذا. وشهدت السنوات الأخيرة من هذه الحقبة التاريخية (القرن ٨-١٢) ظهور كتابين جامعين للأمثال الشعبية وضعهما كل من أحمد بن الحسين الميداني (توفي عام ١١٢٤م) ومحمود بن عمر الزمخشري (١٠٧٥- ١١٤٤م). والجدير بالذكر أن كلا العالمين المتخصصين في الفلكلور العربي لم يكونا عربا من حيث النشأة: فالأول هو فارسي الأصل وعاش في بلدة نيشابور بخراسان، أما الثاني فهو من مواليد خوارزم.

وقد رصدت أولى محاولات لتنظيم وتقييم الأمثال الشعبية في الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى القرن العاشر الميلادي. ففي القرن التاسع قام الشاعر وعالم اللغة الشهير عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي (٩٦١ - ١٠٣٨م) بمحاولة لوضع تصنيف زمني للأمثال الشعبية.[٢]

وقد أولى العالم البارز عمرو بن بحر الجاحظ (القرن التاسع الميلادي) اهتماما كبيرا بالنقل الدقيق للقصص الشعبي: فقد دعى إلى الالتزام بالإعراب عند إعادة قص وسرد القصص البدوية حيث كان الإعراب من الأشياء التي يتم الالتزام بها في الحديث بصرامة في المجتمع البدوي، فيما لم يكن هناك التزام بالإعراب عند نقل وسرد الأقوال المأثورة حيث كان التركيز على الالتزام بالنطق السليم.[٣]

وكان الأدب العربي التقليدي واللغة الفصحى قد شهدا حالة من الانهيار والضعف في الفترة من القرن الرابع عشر إلى القرن الثامن عشر، غير أن ذلك لم يؤثر

---

(١) *Sellheim R.* Die klassisch-arabischen Sprichw Örtersammlungen. 1954, S. 153.

(٢) ليبيديف ف. نشأة علم الفلكلور العربي. (علماء الفلكلور العرب في الفترة من القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر)// المجلة الفلسطينية (مجموعة مقالات). الإصدار ٢٨ (٩١). لينينجراد. ١٩٦٨. ص ص ١٠٤-١٠٥.

(٣) الجاحظ. كتاب البيان والتبيين. الجزء الأول. مصر. ١٩٨٥.

على الفلكلور الشعبي حيث تضاعف اهتمام العلماء والأدباء به. وظهرت في تلك الفترة كتابات فلكلورية مسجلة قام بتدوينها شخصيات بارزة في الثقافة العربية من أمثال الشاعر صفي الدين الحلي (١٢٧٨ - ١٣٥١)، والمؤرخ ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) والأديب الأبشيهي (١٣٨٨ - ١٤٤٦) وعالم اللغة يوسف المغربي (ولد تقريبا عام ١٥٧٠ وتوفي عام ١٦٦١) وغيرهم من العارفين والمولعين بالإبداع الشعبي.

وقد بدأت دراسة الفلكلور العربي في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وكان ذلك مرتبطا بشكل وثيق بدراسة اللهجات العربية. وظل علم الفلكلور العربي فرعا من فروع علم اللهجات العربية حتى منتصف القرن العشرين. واستخدمت مؤلفات فلكلورية (الأمثال والنكات والأشعار الشعبية وأحيانا الحكايات) كنماذج لنصوص تدرس في مقررات اللهجات.[١] وظهرت في نفس الوقت تسجيلات ومدونات خاصة للحكايات[٢] والأمثال الشعبية[٣] العربية الجديدة إلا أنها تناولت فقط التحليل اللغوي للنصوص المختارة دون تقييمها من وجهة نظر علم الفلكلور.

وكان "كتاب اللغة العربية الدارجة" (اللهجة المصرية)[٤] والذي صدر في مدينة ليبزيغ الألمانية عام ١٨٤٨م واحدا من أوائل الأعمال التي تناولت قواعد اللهجات العربية ومؤلفه هو عالم اللغة العربي البارز الشيخ محمد أياد الطنطاوي. (١٨١٠ - ١٨٦١م). وقد أمضى الطنطاوي أكثر من عشرين عاما في تدريس اللغة العربية في جامعات ومعاهد بطرسبورج عامة وجامعة بطرسبورج بشكل خاص.[٥] وقد

---

(١) *Spitta–bey W.* Grammatil des arabischen Vulgardialectes von Aegypten. Leipzig, 1880. S. 441-516; *Rossi E. L'*Arab parlato a San'f. Roma, 1939. P. 62–92, 101–134.

(٢) *Spitta–bey W.* Grammatil des arabischen Vulgardialectes von Aegypten. Leipzig, 1880. S. 441-516; *Rossi E. L'*Arab parlato a San'f. Roma, 1939. P. 62–92, 101–134.

(٣) *Landberg C.* Proverbes et dictions de la province de Syrie, section de Sayda. Leide, 1883; *Snoucki Hurgronje H.* Mekkanische Sorichworter und Redersarten. Haag, 1886.

(٤) *el-Tantavy M. A.* Traite de la langue arabe vulgaire. Leipsic, 1848.

(٥) راجع تفصيلا معلومات عن هذا العالم في كتاب" الشيخ الطنطاوي– أستاذ جامعة بطرسبرج" للمؤلف. إ. كراتشكوفسكي // الأعمال المختارة. الجزء الخامس. ص ص ٢٢٩–٢٩٩.

تضمن كتاب القواعد للشيخ الطنطاوي أكثر من مائة مثل شعبي وعشر قصص شعبية وسبعة ألغاز.[١]

وقد بدأ الشيخ طنطاوي ومن بعده باحثو الفلكلور العرب بالاستفادة من الإنجازات العلمية الأوربية. إلا أن دراسة الفلكلور العربي تحولت إلى علم مستقل في الشرق العربي على وجه الخصوص حيث استفاد الفولكلوريون العرب من الإنجازات العلمية والتقنية في مجال علم الفلكلور. وقد تناولت أعمال باحثي الفلكلور العرب كافة أجناس الفلكلور من القديم إلى القرون الوسطى إلى الحديث. وهناك مؤسسات علمية وأدبية متخصصة تقوم بدراسة الفلكلور: ففي العراق مثلا تصدر مجلة تحمل اسم "التراث الشعبي". وشهد عام ١٩٧٧م انعقاد الندوة العلمية الأولى حول الفلكلور العربي. وهناك عدد ضخم من الدراسات التي صدرت حول علم الفلكلور في العالم العربي.[٢]

ويعد أ. موخلينسكي (١٨٠٨ - ١٨٧٧م) أول مستعرب روسي يولي اهتماما واضحا بعلم الفلكلور. حيث تحوي مجموعة مخطوطاته الموجودة بمكتبة كلية الاستشراق بجامعة سانبطرسبورج، كتابا يضم مجموعة من الأغاني الشعبية المصرية والتي من المرجح أن يكون المؤلف قد قام بنفسه بتدوينها أثناء رحلته إلى الشرق في الفترة من ١٨٣٢-١٨٣٥م. ويرجع الفضل إلى العالمة الشهيرة أولجا بوريسفنا فرولوفا[٣] في إتاحة هذا العمل للمتخصصين حيث قامت بنشره في كتاب. وقد قام ف. جيرجاس (١٨٣٥-١٨٨٧) أثناء تواجده في كل من سوريا ومصر بتدوين الأمثال الشعبية العربية (كتاب هذه الأمثال محفوظ بالمكتبة الحكومية العامة بمدينة سانبطرسبورج). ورغم أن الأكاديمي

---

(١) *Tantavy.* Traite... P. 110-133, 226-231.

(٢) لا توجد معلومات كاملة عن هذه الأعمال، ونذكر فقط على سبيل المثال بعضا منها: أحمد الصوفي. حكايات الأمثال الشعبية. بغداد. ١٩٦٢؛ عبد الكريم الجهيمان. أساطير شعبية من قلب جزيرة العرب. بيروت. ١٨٦٨، ١٩٦٩؛ أحمد رشدي صالح. الأدب الشعبي. القاهرة. ١٩٥٦؛ عثمان الكاك. المدخل إلى علم الفلكلور. بغداد. ١٩٦٤؛ عبد الرحمن الساريسي. الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني. بيروت. ١٩٨١.

(٣) فرولوفا أ. مخطوطة "المواويل" في مكتبة جامعة لينجراد. موسكو. ١٩٨١. ص ص ١١٠-١٣٦.

ف. روزين (١٨٤٩-١٩٠٨) لم يزر الشرق أبدا ولم يتوفر على إمكانية تدوين الفلكلور العربي إلا أنه يعد واحدًا من الأوائل ليس فقط في روسيا بل وفي العالم كله، الذين تناولوا تاريخ الفلكلور، حيث قام بنشر نكتة بدوية تعود إلى القرون الوسطى حول اقتسام دجاجة وهو شكل عربي مميز لمضمون فلكلوري شائع في تلك الفترة.[١] وهناك عالم آخر كبير وهو الأكاديمي أ. كريمسكي (١٨٧١-١٩٤٢) قام بتدوين الحكايات العربية في كل من سوريا ولبنان في الفترة من ١٨٩٦ إلى ١٨٩٨م (وللأسف لم تنشر هذه المدونات حتى الآن). وكان العمل الوحيد الذي نشر مدونات فلكلورية عربية قبل الثورة من تأليف عالم متخصص في اللغة التركية وليس في اللغة العربية ألا وهو العالم اللغوي ف. جوردليفسكي (١٨٧٦ - ١٩٥٦).[٢]

وقد أولى مؤسس مدرسة الدراسات العربية في روسيا الأكاديمي الشهير إ. كراتشكوفسكي (١٨٨٣-١٩٥١م) اهتماما بالفلكلور العربي الحديث بالإضافة إلى اهتمامه بالفلكلور الشعبي في العصور التاريخية المنصرمة. وقد نشر في عامي ١٩٢٦ و١٩٢٧ ثلاث حكايات عربية من القرنين التاسع عشر والعشرين[٣] والترجمة الروسية لأشعار شعبية مصرية تعود للقرن التاسع عشر.[٤] وفي دراساته ومقالاته وأبحاثه

---

(١) ف. روزين. الفكاهة البدوية // مدونات قسم الدراسات الشرقية بجمعية الآثار الروسية. الجزء الثالث. ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٢) ف. جورديلفسكي. الأمثال الشعبية العربية التي دونت في دمشق // الآثار الشرقية القديمة. بروتوكولات. الجزء الثالث. ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٣) إ. كراتشكوفسكي، حكايتان عربيتان من الناصره// بيان الجمعية الروسية الفلسطينية. الجزء ٢٩. لينينجراد. ١٩٢٦. ص ص ٢٨-٤١. نفس المؤلف، أحد الحكايات العربية عن المكر الأنثوي // مقالات أكاديمية العلوم. السلسلة الثالثة. ١٩٢٦. ص ص ٢٣-٢٦. راجع أيضا. كراتشكوفسكي إ. عن الحكايات العربية عن المكر الأنثوي// في ذكرى مرور خمسين عاما على بداية النشاط العلمي لسيرجي فيودوروفيتش اولدنبرج. لينينجراد. ١٩٣٤. ص ص ٢٧٩-٢٨٧.

(٤) إ. كراتشكوفسكي، أغنية الجندي العربي// مختارات. الجزء الثاني. ص ص ٣١٧-٣٢٣.

النقدية الكثيرة تناول كراتشكوفسكي تقييم المصادر والمراجع المختلفة التي تتناول الفلكلور العربي.

وقد استطاع كراتشكوفسكي نقل اهتمامه بالفلكلور العربي إلى تلاميذه. حيث قام د. سيمينوف بتضمين كتاب مختاراته والذي تناول اللهجة السورية والذي صدر عام ١٩٢٩م جزءا عن الأمثال الشعبية من مجلد جيرجاس وعدد من النصوص الفلكلورية (حكايات وقصص قصيرة ونكات وأمثال شعبية) والتي كانت قد نشرت في السابق على يد مستعربين أجانب.[١] وقام بكتابة مقالة قارن فيها بين الحكاية العربية "ثلاث أمراء والطير الذهبي" وبين الحكاية الروسية الشهيرة والشائعة "إيفان تساريفيتش وطائر العنقاء والذئب الرمادي".[٢]

وقد قامت المستعربة الموهوبة روجندا ايرليخ (١٨٩٩-١٩٣٠) بدراسة مجموعة أساطير خرافية تعود للقرون الوسطى وتدور حول شخصية إبليس[٣] وقامت بترجمة أعمال بزرك بن شهريار والتي كتبها في القرن العاشر بعنوان "معجزات الهند" والثرية بالحكايات (ظهرت هذه الترجمة بعد ثلاثة عقود من وفاتها).[٤]

يعتبر إ. فينيكوف (١٨٩٧-١٩٧٣) عالما روسيا بارزا في الدراسات السامية ويتقن اللغات السامية: العبرية القديمة والآرامية والآشورية البابلية وغيرها. واشتهر

---

(١) د. سيمينوف، مختارات من اللغة العربية الدارجة (اللهجة السورية). ليننجراد. ١٩٢٩. ص ص ٣-٤٠، ٦-٥٧، ٤٨-٧٨.

(٢) د. سيمينوف، دراسة مقارنة بين حكاية عربية وأخرى روسية شهيرة//مدونات جمعية المستشرقين التابعة للمتحف الآسيوي أكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي. الجزء الخامس. ١٩٣٠. ص ص ١٨٧-١٩٢.

(٣) ر. ايرليخ، إبليس - عازف الموسيقي// أكاديمية العلوم السوفيتية، مدونات المتحف الآسيوي. الجزء الخامس. ١٩٣٠. ص ص ٣٩٣-٤٠٣.

(٤) بورزغ بن شهريار، معجزات الهند// ترجمة من العربية. ر. ايرليخ. موسكو. ١٩٥٩.

بكونه باحثا واسع الاهتمامات وعالم لغة واثنوغرافيا كبير. وقد استفاد من علم اللغة وعلم الاثنوغرافيا بشكل كبير وأولى اهتماما كبيرا بعلم الفلكلور المرتبط بهذه العلوم. وقد اشتغل في البداية بدراسة القصص العربية التي تناولت النبي محمد[١] (صلى الله عليه وسلم). ومنذ منتصف الثلاثينيات تمحورت الاتجاهات الأساسية لنشاطه العلمي حول دراسة اللغة والفلكلور عند عرب آسيا الوسطى.[٢] وفي عام ١٩٦٢م أصدر فينيكوف معجم لهجات عرب بخارى[٣] حيث استخدم الأمثال الشعبية والتعابير أكثر من مرة لشرح استخدامات الألفاظ. وفي عام ١٩٦٩م قام بنشر كل المواد التي دونها عند إقامته مع عرب بخارى وتشمل (٦٢ حكاية وخمسة نصوص بنطق لاتيني وبترجمة روسية)[٤] وللأسف لم تر النور حتى يومنا هذا دراسة مماثلة قام بها فينيكوف حول اللغة والفلكلور عند عرب قاشقاداريا. وقد شهدت هذه الفترة نشاطا لعالم استشراق كبير آخر قام بدراسة فلكلور عرب بخارى وهو العالم والمستشرق الجورجي غ. تسيريتيلي.[٥]

---

(١) إ. فينيكوف، قصة دعوة محمد في ضوء الاثنوغرافيا// إلى سيرجي فيودورفيتش أولدنبرج.... ص ص ١٢٥-١٤٦.

(٢) يعيش عرب آسيا الوسطى في إقليمين بأوزبكستان وهما إقليما بخارى وقاشقاداريا. راجع مؤلفات بوريكينو اسماعيلوف. مدونات المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية. الجزء الخامس. ١٩٣٠ ؛ إ. فينيكوف عاش في الفترة من ١٩٣٦-١٩٤٣ ولفترة طويلة بين عرب آسيا الوسطى وقام بجمع مادة فلكلورية ولغوية كبيرة وفي عام ١٩٤١ قام بمناقشة رسالة دكتوراه الدولة في موضوع "العرب في الاتحاد السوفيتي (الاثنوغرافيا والفلكلور واللغة)" (لم يتم نشر الرسالة كاملة).

(٣) إ. فينيكوف، معجم لهجات عرب بخارى// المجلد الفلسطيني. الإصدار ١٠(٧٣). موسكو. لينينجراد. ١٩٦٢.

(٤) إ. فينيكوف، اللغة والفلكلور عند عرب بخارى. موسكو. ١٩٦٩.

(٥) غ. تسيريتيلي، اللهجات العربية في آسيا الوسطى. الجزء الأول. اللهجة العربية في بخارى. تبليسي. ١٩٥٦.

لقد ساعد توسيع ودعم العلاقات مع البلدان العربية في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن العشرين على توفير الظروف الملائمة لتدوين الفلكلور الشعبي العربي من قبل المستعربين السوفيت. وما يؤكد هذه الحقيقة صدور أول إصدار من مجموعة "اللغات السامية" في عام ١٩٦٣حيث تضمن هذا الإصدار ست مواد فلكلورية من مختلف اللهجات العربية.[١] ثم ظهرت مواد مشابهة فيما بعد.[٢]

وكان لأعمال أولجا فرولوفا (أحد تلاميذ كراتشكوفسكي) الفضل في صياغة قضايا تاريخ الأدب الشعبي العربي حيث تربطها بسمات الحالة الراهنة لهذا الفن وتقييم تأثيره على الأدب العربي المعاصر.

ويزداد تدريجيا عدد الأعمال التي تناولت الفلكلور العربي. ويستحوذ الأدب الشعبي على الاهتمام الأكبر. حيث قام م. سالي بدراسة "ألف ليلة وليلة" على مدى سنوات طويلة حيث قام بإصدار أول ترجمة روسية لهذا الأثر الأدبي الشهير تمت مباشرة من الأصل.[٣] كما أصدر عددا من المقالات حول الرواية بشكل عام وحول حكايات

---

(١) إ. فينيكوف، نماذج لهجات عرب كاشكادار// اللغات السامية. ص ص ١٧٦-١٨٥ ؛ يو. زافودسكي. نماذج الفلكلور المدونة فيتونس (الأمثال والتعابير)//نفس المرجع. ص ص ١٨٦-١٩٠ ؛ أو. كوفتونوفيتش، الأمثال الشعبية التي دونت في دمشق//نفس المرجع. ص ص ١٩١-١٩٢ ؛ اوديفاسيليفا ك. الأمثال والتعابير الدارجة في الناصرية//نفس المرجع. ص ص ١٩٣-١٩٥ ؛ ف. فوتيفا. نماذج الفلكلور اليمني// نفس المرجع. ص ص ١٩٦-٢٠١ ؛غ. شارباتوف، نماذج الأمثال الشعبية والتعابير//نفس المرجع. ص ص ٢١٩-٢٢١.

(٢) راجع: كاريموف إ. الأمثال اليمنية الشعبية التعابير في مدينة صنعاء// اللغات السامية. الإصدار ٣. موسكو. ١٩٧٧. ص ص ٢٠١-٢٠٢ ؛ ميليكوف ر. الامثال المصرية في الصعيد //نفس المرجع. ص ص ٢٠٦-٢٧٧. الجذور الفلكلورية في بعض النصوص التي دونها م. ازرورديونوف في اليمن الجنوبي (راجع الحاشية السفلية السابقة).

(٣) كتاب "ألف ليلة وليلة" // ترجمة من العربية م. سالي // تحرير العالم الأكاديمي إ. كراتشكوفسكي. لينينجراد. ١٩٢٩-١٩٣٩. الجزء ١-٨. الإصدار الثاني. موسكو. ١٩٥٨-١٩٥٩.

بعينها منها.[١] وكان آخر عمل أصدره مرتبطا أيضا بكتاب "ألف ليلة وليلة" وهو عبارة عن (ترجمة لعدد من الحكايات الموجهة إلى قطاع كبير وعريض من القراء والتي وردت في النسخة الأشهر والأدق لكتاب "ألف ليلة وليلة" مصحوبة بمقدمة شيقة).[٢]

وقد ضمن العالم الأكاديمي إ. كريمسكي كتابه المرجعي "تاريخ الأدب العربي الحديث" قسما كبيرا تناول التعريف بالأدب الجديد وأولى اهتماما خاصا بالأدب الشعبي.[٣] وقد تواصلت جهود دراسة وبحث هذه الظاهرة الثقافية على يد كل من ب. شيدفار[٤] وف. ليبيديف[٥] ود. اونايفا[٦]

---

(١) م. سالي، مخطوطة ليننجراد "ألف ليلة وليلة"// أكاديمية العلوم السوفيتية. السلسلة السابعة. ١٩٢٨. العدد الثالث. ص ص ١٨٥-١٩٦ ؛ تحقيق حكاية علاء الدين عبد الصمد // أكاديمية العلوم السوفيتية. السلسلة السابعة. ١٩٢٨. العدد الرابع. ص ص ٢٩٩-٣١٠ ؛ نسخة مجهولة لحكاية الصياد والروح من "ألف ليلة وليلة"// مدونات المتحف الآسيوي التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية الجزء الخامس. ١٩٣٠. ص ص ٤٠٥-٤٢٨ ؛ المقدمة التي كتبها لمقدمة وخاتمة الترجمة الروسية لكتاب" ألف ليلة وليلة" يتضمنان وصفا عاما لهذا الأثر الأدبي الشهير (أو بمعنى أدق مجموعة آثار أدبية في كتاب واحد).

(٢) خليفة لمدة ساعة. حكايات جديدة من كتاب "ألف ليلة وليلة" // مقدمة وخاتمة وتعليقات م. سالي. موسكو. ١٩٦١.

(٣) إ. كريمسكي، تاريخ الأدب العربي الحديث. موسكو. ١٩٧١. ص ص ٤٩-٩١.

(٤) ب. شيدفار. من الحكاية إلى الرواية (بعض ملامح "الرواية الشعبية" العربية)// شعوب آسيا وإفريقيا. ١٩٧٥. العدد الأول. ص ص ١٣٠-١٣٨.

(٥) ف. ليبيديف، مؤلفات الأدب الشعبي العربي في مجموعة إ. فيركوفيتش. ملخص رسالة الدكتوراه في اللغة. موسكو. ١٩٦٩ ؛ مؤلفات الأدب الشعبي العربي في مجموعات المخطوطات الشرقية // كتب وأرشيفات وأوتوغرافات. موسكو. ١٩٧٣. ص ص ٢٣٥-٢٤٢ ؛ قصتان عربيتان مجهولتان من القرون الوسطى //شعوب آسيا وأفريقيا. ١٩٧٦. العدد الرابع. ص ص ١٢٩-١٣٥.

(٦) د. اونايفا. "سيرة بنى هلال" نموذج للملحمة العربية في الفترة الأخيرة من القرون الوسطى //ملخص رسالة الدكتوراه في اللغة. موسكو. ١٩٧٤ ؛ حول ملامح بنية "سيرة بنى هلال" // قضايا الأدب الشرقي وعلوم النص موسكو. ١٩٧٥. ص ص ٣-١٦.

وإ. تيموفييف[١] ون. ابراهيموف[٢] وت. مختاروف.[٣] وقد تمت ترجمة عدة سير شعبية إلى اللغة الروسية.[٤]

وقد كرس م. بياتروفسكي[٥] جهوده في دراسة الفلكلور العربي القديم فيما تولي ف. ليبيديف[٦] دراسة الفلكلور العربي في القرون الوسطى.

---

(١) إ. تيموفييف، إبداعات الأديب المصري محمد بن دانيال – القرن الثالث عشر (حول العلاقة بين المنطوق والمكتوب في عروض مسرح "خيال الظل") // قضايا الأدب الشرقي وعلم النصوص ص موسكو. ١٩٧٥. ص ص ٣٢-٣٨.

(٢) نعمة الله ابراهيموف. الرواية الشعبية العربية. موسكو. ١٩٨٤.

(٣) ت. مختاروف. "قصة الأمير حمزة البهلوان"- نموذج للملحمة العربية في كتب القرون الوسطى// ملخص رسالة دكتوراه في علم اللغة. موسكو. ١٩٨٣.

(٤) سيرة عنترة/ ترجمة ملخصة من اللغة العربية. أي. فيلشتينسكي وب. يشيدفار. موسكو. ١٩٨٦ ؛ سيرة الملك سيف بن الملك ذي يزن/ ترجمة مختصرة من العربية. أي. م. فيلشتينسكي وب. شيدفار. موسكو. ١٩٧٥ ؛ نفس الإصدار الثاني. موسكو. ١٩٨٧ ؛حياة السلطان الظاهر بيبرس / ترجمة من العربية. ف. كيربيتشينكو. موسكو. ١٩٧٥ ؛ حياء ومغامرات على الزيبق/ترجمة من العربية. نعمة الله ابراهيموف. ١٩٨٣ ؛حياة فاطمة الشجاعة وقصة بطولات أجدادها / ترجمة من العربية. نعمة الله ابراهيموف وت. مختاروف. موسكو. ١٩٩٠.

(٥) م. بياتروفسكي. قصة ملك الحميريين أسعد الكامل. موسكوز١٩٧٧ ؛النسخة العربية من تاريخ وسيرة الملكة زينوبيا// المجلد الفلسطيني. الإصدار ٢١ (٨٤)١٩٧٠. ص ص ١٧٠-١٨٤ ؛القصص القرآني بوصفها أثرا ثقافيا وتاريخيا //المؤتمر الاتحادي حول قضايا الثقافة العربية في ذكرى الأكاديمي كراتشكوفسكي/ مقالات وورقات المؤتمر. موسكو. ١٩٨٣. ص ص ٣٨-٣٩. قام بإعداد دراسة جامعة للقصص القرآني.

(٦) ليبيديف ف. قضايا علم المصادر في الفلكلور العربي للقرون الوسطى. ملخص رسالة دكتوراه في اللغات والآداب. لينينجراد. ١٩٨٠ ؛حكاية الغزالة الذهبية (نموذج للفلكلور العربي في القرن السابع عشر)// الإصدار الثاني. موسكو. ١٩٦٥م ص ص ٥٢١-٥٣٢ ؛ عن مصادر الإصدارات الأولى للأمثال العربية // شعوب آسيا وأفريقيا. ١٩٧٧م. العدد ٣. ص ص ١٣٨-١٤٥ ؛ مدونات الفلكلور العربي في =

وقد قام ليبيديف وهو أحد تلاميذ فينيكوف بالعثور على مدونات للفلكلور العربي في بداية الستينيات. ومن ثم قام بصياغة منظومة دقيقة لتصنيف مصادر تاريخ الفلكلور العربي وتخطيط وتحديد للمراحل الزمنية لهذا التاريخ.

ويتوجب إنجاز عمل كبير فيما يخص تدوين النصوص الفلكلورية الحديثة والكشف عن الأعمال الفلكلورية من العصور السابقة وكذا الدراسة النظرية لتطور الإبداع الشعبي عند العرب وارتباطه بالأدب. وتحتل أعمال علماء آسيا المركزية مكانة هامة في هذا المجال بوصفه أحد مجالات الاستعراب.

والهدف من هذا الفصل من كتابنا – عرض تصور عام حول المصادر والمراجع الأساسية التي تناولت تاريخ الفلكلور العربي وأجناسه وتوضيح أهمية الإبداع الشعبي الشفهي ودوره في تاريخ الأدب العربي والثقافة العربية بشكل عام.

ويتناول الجزء الأول من هذا الفصل نظره عامة على أهم المصادر التي تناولت بالبحث تاريخ الفلكلور العربي (مع وصف أهم الآثار المكتوبة التي تعكس الإبداع الفلكلوري)، أما الجزء الثاني من هذا الفصل فيتناول وصف الأجناس النثرية والشعرية في الفلكلور العربي وتطورها التاريخي.

= القرون الوسطى في مجموعة المخطوطات بمكتبة سالتيكوف شيدرين الحكومية العامة// ١٩٧٣م. موسكو. ص ص ١٢٥–١٤٥ ؛ الأمثال العربية في مخطوطات مجموعة فيركوفيتش// نفس المرجع. ص ص ١١٩–١٢٤ ؛ مخطوطات تاريخ العلاقات الفلكلورية بين شعوب الشرق والتي لم تتم دراستها بعد// قضايا مصادر المخطوطات المحفوظة في الأرشيفات القديمة. الإصدار ٢. لينجراد. ١٩٨٠. ص ص ١٣٢–١٤٢ ؛ المخطوطات العربية في القرون الوسطى والفلكلور// الآثار المكتوبة وقضايا تاريخ حضارة شعوب الشرق. موسكو. ١٩٨١. ص ص ٧٥–٨٢ ؛ خلاف القاهري مع الفلاح (الشعر الشعبي العربي في القرن السابع عشر)// ١٩٧٤. موسكو. ١٩٨١م. ص ص ٥٨–٦٥ ؛ الخطبة الإسلامية والفلكلور العربي. موسكو. ١٩٨٥. ص ص ١٢٩–١٣٣ ؛ الفلكلور والأدب الشعبي عند العرب بوصفه مصدرا تاريخيا // قراءات في أعمال بارتولد – ١٩٨٧م / موجز مقالات وأوراق. موسكو. ١٩٨٧. ص ص ١٠٤–١٠٦.

١ – استعراض للمراجع والمصادر التي تناولت تاريخ الفلكلور العربي

لا تحتاج لفظة "مرجع" إلى تفسير. فالمرجع التاريخي هو أثر مكتوب أو شيء مادي يعكس بشكل مباشر عملية تاريخية. أما المرجع اللغوي فهو الأثر المكتوب الذي يعكس تاريخ تطور اللغة. وعلى ذلك فإن المرجع في تاريخ الفلكلور هو الأثر المكتوب الذي يعكس تاريخ تطور الأدب الشعبي أو الفلكلور.

وتستخدم الأبحاث الحديثة في مجال الفلكلور واللهجات المصادر المكتوبة والمسجلة صوتيا على السواء (في النصف الأول من القرن العشرين بدأ استخدام جهاز الفونوجراما) كما تستخدم هذه الأبحاث التسجيلات الصوتية والمرئية التي أنتجت في العصر الحديث. إن عدد المدونات المكتوبة لنصوص فلكلورية تعود للقرون الوسطى قليل للغاية وينسحب ذلك أيضا على النصوص الفلكلورية العربية. ويجب القول إننا مازلنا في أول طريق الدراسة الجادة لهذه المواد والمدونات. وتختلف درجة تناول الفلكلور وإظهاره في مختلف الآثار المكتوبة والتي ترجع إلى الماضي. ويلزم توفير وصياغة منهجية محددة تساعد على سهولة إبراز وإظهار العناصر الفلكلورية. ويجب أن تستفيد هذه المنهجية من أقصى عدد من المخطوطات وحساب وتحقيق الأشكال المختلفة لنص الأثر وخصائص لغتها (بعبارة أخرى استخدام مناهج البحث النصي والجغرافي الأثري اللغوي)[1] وبدون الاستفادة من مخطوطات الأثر المدون لا يمكننا تصور النص الأصلي واللغة الأصلية وبالتالي لا يمكننا تحديد علاقته بالأدب الشعبي أو الفلكلور.

إن المراجع المتخصصة في دراسة تاريخ الفلكلور العربي تساعدنا على تصور عملية تطور الإبداع الشعبي الشفهي عند العرب منذ العصور القديمة وحتى

---

(١) ليبيديف ف. قضايا علم المراجع والمصادر في الفلكلور العربي. لينتجراد. ١٩٨٠. ص ٤.

يومنا هذا. وعلى وجه الخصوص سمحت دراسة مثل هذه المصادر والمراجع لعالم شهير مثل ف. ليبيديف بصياغة التصور التالي والذي يحدد المراحل الزمنية في تاريخ الفلكلور العربي:

١- الفلكلور العربي القديم (ما قبل الإسلام)(منذ العصور القديمة وحتى بداية القرن السابع الميلادي):

أ) الفترة القديمة (حتى القرن الخامس الميلادي) وتضم نصوصا شعرية شعبية تتسم بالبساطة المتناهية.

ب) فترة ما قبل الإسلام (من القرن الخامس وحتى القرن السادس). وتتسم هذه الفترة بتعقد أجناس الشعر الشعبي والنثر واتساع معرفة العرب بالأدب الشعبي عند الشعوب والأمم المجاورة لهم.

٢- فلكلور القرون الوسطى (من القرن السابع وحتى القرن الثامن عشر):

أ) فترة الفتوحات العربية. (من القرن السابع وحتى منتصف القرن الثامن)؛

ب) فترة الحكم العباسي (من منتصف القرن الثامن وحتى منتصف القرن الثالث عشر)؛

ج) فترة الحكم المملوكي (من منتصف القرن الثالث عشر وحتى بداية القرن السادس عشر)؛

د) الحقبة المتأخرة من القرون الوسطى (من القرن السادس عشر وحتى القرن الثامن عشر)؛

٣- الأدب الشعبي العربي الحديث (من القرن التاسع عشر وحتى القرن الحادي والعشرين).

ومن الأفضل دراسة تاريخ الفلكلور العربي الحديث في كل دولة عربية على حدة مع وضع تصور للمراحل الزمنية لتاريخ الإبداع الشعبي الشفهي في كل بلد الذي يجب أن يتأسس على التقسيم الزمني لهذا الفن إلى تاريخ حديث وأكثر حداثة مع

الأخذ في الاعتبار سمات تطوره.[١] كما يتناول قسم "الفلكلور العربي الحديث" الأدب الشعبي عند عرب آسيا الوسطى والتي ترجع مدوناته إلى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين.

لقد تغلغلت العناصر الفلكلورية بشكل عميق في مختلف أجناس ومؤلفات الأدب العربي (ليس فقط الأعمال الأدبية بل والعلمية والدينية). والجدير بالذكر هنا أنه لم تكن هناك حدود وفواصل دقيقة بين هذه الأشكال الثلاث من الأعمال المكتوبة في القرون الوسطى ولذا فإنه من الصعوبة بمكان تحديد جنس المؤلف إذا كان أديبا أو دينيا أو علميا.

وقد قام ف. ليبيديف بتحليل الكثير من المصادر والمراجع المختلفة التي تناولت تاريخ الفلكلور العربي واقترح التصنيف التالي لهذه المراجع :

١ - القرآن الكريم.

٢ - التفاسير وقصص الأنبياء.

٣ - الأحاديث الشريفة.

٤ - جوامع الأمثال والتعابير والأقوال المأثورة.

٥ - المختارات الأدبية والتعليمية.

٦ - المقالات التعليمية العامة واللغوية.

٧ - الأعمال التاريخية والجغرافية والكونية.

٨ - المقالات التي تتناول قضايا الفلك والطب الشعبي والسحر وتفسير الأحلام.

٩ - مؤلفات الأدب الشعبي.

١٠ - المدونات الفلكلورية.[٢]

---

(١) نفس المرجع. ص ٨.

(٢) نفس المرجع. ص ٩.

العناصر الفلكلورية المستوحاة من القرآن الكريم والتفاسير وقصص الأنبياء

يضم القرآن الكريم اثنين من أجناس الفلكلور العربي القديم:

١- قصص القبائل القديمة والأنبياء.

٢- الأمثال والتعابير الشائعة.

إلا أن المظاهر الفلكلورية في القرآن الكريم لا تتوقف فقط على النقل البسيط للمضامين والأقوال المأثورة. حيث نلحظ هذه المظاهر بشكل كبير ومتنوع.

ليس هناك من شك في أن القرآن الكريم يعد أحد المصادر الهامة التي استوحي منها الفلكلور ونظرا لأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان لا يعرف القراءة والكتابة، فمن المستبعد أن يكون قد توفر على عدد كبير من الآثار العربية المكتوبة[١] وأكثر من ذلك أن يطلع على أخرى بلغات أجنبية (اليونانية القديمة والعبرية القديمة والفارسية القديمة والحميرية والسورية والقبطية). لقد استفاد بدون شك من الفلكلور وانعكس ذلك في أقواله وخطبه التي تمثل جزءا من الأحاديث الشريفة.

ويتم التعبير عن القصص القرآني بالألفاظ التالية: "الحديث" و"النبأ" و"القصص" و"الخبر" و"الأساطير"[٢]. وقد استخدم مصطلحا "حديث" و"قصص" عند تناول الأحداث القديمة تاريخيا، فيما استخدم مصطلحا "نبأ" و"خبر" عند الحديث عن

---

(١) قبل ظهور الإسلام كانت القبائل العربية تعيش على مر القرون متجاورة مع قبائل الحضارات القديمة التي عرفت الكتابة إلا أنها بقيت فعليا لا تعرف الكتابة وذلك على الرغم من وجود النسخة العربية من "الكتابة الآرامية" في الفترة من القرن الثالث إلى القرن الرابع الميلادي. خاليدوف. أ. الحضارة المكتوبة// مقالات في تاريخ الثقافة العربية في الفترة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي. موسكو. ١٩٨٢. ص ٢١٥.

(٢) المقصود هنا "الأساطير" بوصفها جنسا فنيا أدبيا وليس المعنى الذى ورد في القرآن الكريم. وهي أنواع منها "الأساطير الدينية" والتي ترتبط بالمعتقدات والديانات المختلفة و"الأساطير التاريخية" وغيرها. ويقصد بمصطلح "الأساطير الإسلامية" ذلك الفن الأدبي الذى ظهر وتطور في فترة انتشار الإسلام. (المترجم)

"معلومة يدلي بها شاهد حول حدث بعينه" (عادة ما يكون الحدث وقع قبل فترة قصيرة من سرده)[١] وترد لفظة "أساطير" في القرآن الكريم على صيغة الجمع دائما[٢] وفي إطار تعبير "أساطير الأولين" وليس منفصلة.

وينقسم القصص القرآني من حيث النشأة إلى القصص الإنجيلي (وهو الذي يتناول مضامين من العهدين القديم والجديد) والقصص العربي (ويتناول مصائر الشعوب والقبائل العربية القديمة[٣]) كما يمكن تقسيم القصص العربي في القرآن الكريم إلى نوعين أحدهما يتناول قصص الشعوب العربية الشمالية والآخر يتناول قصص الشعوب العربية الجنوبية.

ومن أهم وأوضح نماذج القصص الإنجيلي في القرآن قصة النبي يوسف عليه السلام والذي باعه إخوته في مصر وتحول هناك من عبد إلى رجل شهير وعالي المقام. وخلافا لمعظم القصص القرآنية تتسم هذه القصة بكونها قصة منتهية ولها خاتمة. كما تمتد هذه القصة عبر سورة قرآنية كاملة (سورة يوسف). وهناك قصص طويلة ومترابطة الأحداث تتناول حياة الأنبياء موسى ونوح عليهما السلام والملك سليمان بن داود وغيرهم.

ومن بين القبائل العربية القديمة التي يصورها القرآن الكريم من خلال القصص القرآني قبيلتا عاد وثمود حيث يأتي ذكرهما بشكل دائم في القرآن. (ذكرت كل قبيلة ٢٦ مرة في القرآن). ووفقا لما جاء في القرآن الكريم فقد دمر الله تعالى هاتين القبيلتين

---

(١) جيريازنيفيتش ب. تطور الوعي التاريخي عند العرب (القرون من السادس إلى الثامن الميلادي) // مقالات في تاريخ الثقافة العربية في الفترة من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي. موسكو. ١٩٨٢م. ص ص ١٠٩-١٢٩.

(٢) مفردها "أسطورة" ويرتبط معني هذه الكلمة بالكلمة اليونانية "أسطوريا".

(٣) بياتروفسكي م. القرآن بوصفه أثرا تاريخيا وحضاريا // المؤتمر الاتحادي العالمي حول قضايا الثقافة العربية. في ذكرى الأكاديمي إ. كراتشكوفسكي. مختصرات الأوراق العلمية البحثية. موسكو. ١٩٨٣. ص ٣٨.

عقابا على عدم طاعتهما وكفرهما. وقد أرسل النبي هود إلى قبيلة عاد (هناك سورة كاملة باسمه وتحمل رقم ١١ في القرآن)، فيما أرسل النبي صالح عليه السلام إلى قبيلة ثمود. وقد أظهر النبي صالح عليه السلام معجزة لقومه حين أخرج لهم من الصخر "ناقة الله" إلا أن هؤلاء قاموا بتكذيبه: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة الشمس – الآية ١٤). إلا أنه من الملاحظ ندرة القصص الطويلة والمفسرة حول القبائل العربية القديمة في القرآن الكريم.

وبالإضافة إلى القصص القرآنية التي تناولت الحقبة القديمة قبل الإسلام هناك أيضا ذكر للقصص الإسلامية في بداية عهد الإسلام حيث ذكر القرآن الكريم قصة عروج النبي محمد، صلى الله عليه وسلم، إلى السماء وكذا إسرائه من مكة إلى بيت المقدس. (القرآن الكريم – السورة السابعة عشرة، الآية الأولى)، وكذا عن تقسيم الجن إلى جن مؤمن وآخر كافر (القرآن الكريم، السورة الثانية والسبعون، الآيات من ١–١٥).

تتميز لغة القرآن الكريم الواضحة والمجازية باستخدام الأمثال والتعابير. ومن بين الأمثلة الواضحة على استخدام القرآن للأمثال ما جاء في سورة العنكبوت في الآية الحادية والأربعين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾. وتستخدم في القرآن الكريم لفظة "مثل" للتعبير عن الأمثال والتعابير (وكذا المقارنات). وقد أصبح هذا المصطلح يستخدم بشكل مكثف واستقر في الأدب العربي وعلم الأدب وعلم الفلكلور.[1]

إن الإيجاز الذي تتسم به الفقرات القصصية في القرآن الكريم تلزمنا البحث عن مصادر إضافية لتقييم المادة الفلكلورية التي وردت في هذا الكتاب العظيم. وتتمثل هذه المصادر في التفاسير وقصص الأنبياء.

---

(١) Sellheim... S. 8 – 22.

وقد كتبت التفاسير منذ العقود الأولى لانتشار الإسلام[١]، إلا أن الحجم الأكبر من المادة الفلكلورية تتوفر في جوامع الأحاديث التي صدرت فيما بعد مثل "الكشاف عن حقائق التنزيل" لمحمود بن عمر الزمخشري، و"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" للقاضي المنتمي لمدينة شيراز الإيرانية عبد الله بن عمر البيضاوي (١٢٢٥-١٣١٦).

وتقدم بعض الكتب الجامعة لقصص الأنبياء تفاسير للأجزاء القصصية في القرآن. ومن بين هذه الكتب نذكر كتاب "قصص الأنبياء" الذي وضعه أحمد بن محمد الثعالبي (توفي ١٠٣٥)، كما يحمل هذا الكتاب أيضا اسم "عرائس المجالس"[٢] وهناك كتب أخرى تجمع قصص الأنبياء منها كتاب محمد بن عبد الله القصعي في القرن الحادي عشر.

إن فرص القيام بتحليل القصص القرآني تتزايد بشكل ملحوظ بفضل الاستعانة بالتفاسير وقصص الأنبياء عليهم السلام. ونكتفي هنا بمثال واحد على ذلك. يأتي القرآن الكريم على ذكر "إرم ذات العماد" مرة واحدة فقط. (سورة الفجر، الآية ٦). إن وصف إرم يتسم بالإيجاز. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾. ووفقا لهذا الوصف فإن الحديث يجري هنا عن مدينة ما أو قصر، أما ذكر إرم مصحوبا بذكر قبيلة عاد التي رفضت دعوة النبي هود عليه السلام ما يدل على أن إرم قد عوقب من الله تعالى على كفر وعدم طاعة سكانه أو بنائيه.

وتتأكد هذه الفرضية عند اللجوء إلى التفاسير وقصص الأنبياء. حيث يؤكد غالبية مفسري القرآن الكريم أن مدينة إرم تقع في جنوب الجزيرة العربية. حيث جاء على لسانهم أن مباني إرم بقيت قائمة إلا أن الله تعالى أباد ودمر كل من رغب في الإقامة في هذه المدينة. ومن بين أكثر القصص المفصلة التي تحكي عن إرم ما جاء في تفسير الزمخشري والتي تحكي عن عاد الملك القديم (مؤسس قبيلة عاد) وعن ابنيه

---

(١) قائمة التفاسير القديمة (في الثلث الأول للقرن الحادي عشر) – راجع:
Sezgin F. Geschichte des arabischen Schrifttums, Bd. I. Leiden, 1967. S. 3 – 49.

(٢) الثعالبي. قصص الأنبياء المسماة بعرائس المجالس. مصر. ١٩٠٦. ص ٢٥٢.

شداد وشديد. بعد وفاة شديد أصبح أخوه شداد حاكما للأرض كلها وعندما سمع عن الجنة قرر أن يبني مثلها على الأرض. وقد نفذت أوامره ببناء مدينة في الصحراء بها قصور من الذهب والفضة وجسور من الأحجار الكريمة وحدائق غناء. وقد استمر بناء مدينة إرم ٣٠٠ عام (عاش شداد ٩٠٠ عام). وعندما تم الانتهاء من البناء توجه الملك شداد مع حاشيته للإقامة في إرم وقبل وصوله إليها بمسيرة يوم "أطلق الله عليهم صيحة من السماء وسقطوا صرعي".[١]

ويوجز البيضاوي[٢] في سرده لقصة إرم فيما يولي الثعالبي[٣] أهمية ومساحة كبيرة لقصة إرم في كتابه الذي يعد أحد أهم جوامع القصص القرآني.

وتعد قصة إرم من القصص الشهيرة حيث جئ على ذكرها أيضا في عدد من الإبداعات التاريخية والجغرافية وفي كتاب "ألف ليلة وليلة"[٤] ومع مرور الزمن اكتسبت هذه القصة المزيد من التفاصيل الجديدة إلا أن المضمون الأساسي للقصة ليس موضع شك. وتعد هذه القصة واحدة من أخرى كثيرة كتبت عن مدن جنوب الجزيرة العربية.

ويتميز الكتاب الجامع للأكاديمي م. بياتروفسكي عن القصص القرآني بكونه يعفينا من الحاجة إلى البحث عن مراجع أكثر تفصيلا. إلا أن البحث والدراسة المنهجة للتفاسير والقصص القرآني من وجهة نظر علم الفلكلور لا يزالان يحتاجان إلى المزيد والمزيد. وهنا يتوجب الاستفادة ليس فقط من الكتب ولكن أيضا من المخطوطات وذلك لأسباب ثلاثة :

١- إن بعض التفاسير والكتب التي تتناول قصص الأنبياء لم تنشر حتى الآن.

٢- إن بعض تلك المؤلفات قد صدر دون استخدام كافة المخطوطات، حيث إن النص المطبوع لا يتسم بالمصداقية دائما.

---

(١) الزمخشري. الكشاف عن حقائق التنزيل. بولاق. ١٩٠٠. ص ٢٦٩.

(٢) *Beidhavii.* Commentarius in Coranum Ed. H. O. Fleischev. Vol 2. Lipsiae, 1848. P. 113.

(٣) العرائس. ص ص ٨١-٨٤.

(٤) بولاق. ١٨٣٥. الجزء الثاني ص ص ١٣٣-١٣٦ ؛ ١٩٥٨. الجزء الرابع. ص ص ٣٠-٣٧.

٣- يحوي عدد من المخطوطات حواشي هامة ذات طابع تاريخي كاذب وأسطوري. ومثال على ذلك مخطوطة تفسير البيضاوي والتي تتكون من جزأين وهي زاخرة بعدد كبير من هذه الحواشي. وقد تم تحقيق ونقل هذه المخطوطة عام ١٦٥٦ في داغستان. (المخطوطة محفوظة في المكتبة الحكومية العامة بمدينة سانبطرسبورج في روسيا الاتحادية). ونجد بين هذه الحواشي قصصا وأساطير ذات طابع فلكلوري: حول طائر أسطوري يدعى العنقاء، وعن إبليس والجن، وعن النعمة والسعة السائدة على الأرض في العصور البدائية عندما كانت الأرض كلها خضراء والذئاب ترعي بجوار الغنم والأسود بجوار الثيران والجمال والثعابين بجوار البشر.[1] وتستحوذ هذه الحواشي على اهتمام خاص من الباحثين والدارسين.

الأحاديث الشريفة والفلكلور العربي

يرجع السبب في وفرة المادة الفلكلورية في جوامع الأحاديث الشريفة إلى ما يلي:

١- إن الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، كان ملما بفلكلور زمنه وعصره حيث استخدم على نطاق واسع الأمثال والقصص في أقواله التي تمثل جزءا مهما من الأحاديث الشريفة. كما استوحيت مضامين تراث شعبي من القصص القرآني الذى أوحي به عليه السلام.

٢- هناك جزء من الأحاديث يعود بشكل عام ليس إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) بل إلى الفلكلور. وقد قام علماء المسلمين في القرون الوسطى بتصنيف هذه المجموعة الكبيرة في باب الأحاديث الموضوعة.

٣- إن الطريقة التقليدية لنقل الأحاديث شفهيا ساعدت على التقريب بينها وبين الفلكلور (من حيث الشكل تقترب من القصص التاريخية).

---

(١) حول جوامع الأحاديث راجع Sellheim. S. 20.

٤- من السمات المميزة لكثير من كتب الأحاديث اشتمالها على قصص تفسر هذا الحديث أو ذاك.

٥- إن الكثير من الأحاديث تحولت فيما بعد إلى أمثال.[١]

ومن المعروف أن أهم جامع للأحاديث الشريفة "الجامع الصحيح" كان نتاج جهود الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وهو من سكان آسيا الوسطى. (٨١٠-٨٧٠) فيما قام زميلاه والمعاصران له عبدالله بن عبد الرحمن الدريمي السمرقندي (توفي عام ٨٦٩م) ومحمد بن عيسى الترمذي (توفي عام ٨٩٢ م) بوضع كتابين من الكتب الكبرى الجامعة للأحاديث الشريفة. ويمكن تحديد العناصر الفلكلورية بسهولة في هذه الكتب الجامعة للأحاديث ويرجع الفضل في ذلك إلى الفهارس المتوفرة في هذه الكتب[٢]. ويعد كتاب "فنون الأخبار وعيون الحكايات والآثار" للعالم الشهير عمر بن الحسين النيسابوري السمرقندي نموذجا ومثالا للكتب الجامعة للأحاديث والقصص والتي صدرت في فترة متأخرة. وقد كتب هذا العمل في عام ١٤٠٤ م. ومازالت المخطوطة الشهيرة الوحيدة لهذا الكتاب الأثر موجودة بمكتبة باريس الوطنية[٣]. وتحتوي القصص الواردة في هذا الكتاب على ذكر أنبياء الإنجيل وصحابة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

ونورد هنا مثالا للحديث الشريف الذي تحول إلى حكمة: "الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق"[٤]، [٥].

---

(١) راجع Sellheim. S. 20.

(٢) *Wensinck A. J.* Handbook of early Mohamedan tradition. London, 1927; *Wensinck A. J.* Concordance et indices de la tradition musulmane. T. 1–2. Leide, 1937–1939.

(٣) *Blochet E.* Catalogue des manuscripts arabes. Paris, 1925. p. 51, No 5039.

(٤) Locmani sapientis fabulae et selecta quaedam Arabum Adagia. Leidae,1615, No XX.

(٥) حديث سنده ضعيف. (المترجم)

جوامع الأقوال المأثورة والحكم والأمثال الشعبية

استخدمت كتب الأقوال المأثورة والتعابير والأمثال الشعبية على نطاق واسع في آداب القرون الوسطى لشعوب الشرق الأدنى والأوسط عامة والبلدان العربية خاصة.

ويعد مصطلح "قول مأثور" تعبيرا واسع المعاني حيث يشمل أقوال أشخاص بعينهم وكذا الحكم الشعبية. وفي الأدب العربي من الصعب أن نضع حدا فاصلا بين الأقوال المأثورة الشعبية وتلك التي أطلقها مؤلف ما[١]. أما الأمثال الشعبية والمأثورة فهي راسخة وثابتة أو أكليشيهات تكون جملا وعبارات منتهية ومكتملة المعنى أما التعابير فهي تمثل أكليشيهات تكون جملا غير مكتملة وغير منتهية.[٢]

وللتعبير عن الأقوال المأثورة والحكم (الأقوال التي تتميز بالحكمة أو بالفكاهة والطرافة) استخدم العرب المصطلحات التالية: "الأقوال" (جمع "قول") و"كلمة" و"حكمة". أما فيما يتعلق بالأمثال والتعابير (وكذا الحكايات والأساطير التي تحمل مغزى) استخدم العرب لفظة "مثل" (وجمعها "أمثال").

ومن بين أكثر الكتب الجامعة للأقوال المأثورة كانت تلك التي نسبت للخليفة الرابع علي بن أبي طالب، رضي الله عنه هي الأكثر شهرة وانتشارا. وقد عاش الخليفة علي في الفترة من ٦٠٠ – ٦٦١م. ويقول كراتشكوفسكي إنه "من المثير للجدل أن تنسب الأقوال المأثورة إلى علي. فمن المحتمل جدا أن يكون المؤلف الأول لها عاش منذ أمد بعيد حتى طواه النسيان وإنما تنسب هذه الأقوال المأثورة عادة إلى المشاهير من الناس"[٣] وهناك أيضا كتب جامعة للأقوال المأثورة نسبت للحكيم الأسطوري لقمان كعب الأحبار الضليع بالفلكلور اليمني القديم والقصص الإنجيلية، (أبو الأخبار) وغيرها.

---

(١) كراتشكوفسكي إ. مقولات ابن المعتز// مختارات. الجزء السادس. ص ٤٣.

(٢) بيرمياكوف ج. من المقولة المأثورة إلى الحكاية الشعبية. موسكو. ١٩٧١م. ص ٩.

(٣) كراتشكوفسكي إ. مقولات ابن المعتز//ص ٤٣.

وإذا كانت جوامع الأقوال المأثورة تتكون في أغلبها من الأقوال المأثورة فقط دون غيرها فإن جوامع الأمثال الشعبية والتعابير عادة ما تختلط بالقصص (عادة ما تكون القصص ذات طابع فلكلوري). حيث نجد على سبيل المثال الكثير من هذه القصص في الكتاب القديم الجامع للأمثال الشعبية العربية لمؤلفه المفضل الضبي (توفي عام ٧٨٧م)، حيث نجد عددا من القصص القصيرة التي تحمل عنوان "أيام العرب".[١]

وهناك مؤلف آخر جامع للأمثال الشعبية يحمل اسم "مجمع الأمثال" لمؤلفه الميداني ويتسم بكبر حجمه من ناحية وباشتماله على الكثير من القصص الفلكلورية. (يحتوي هذا الكتاب على أكثر من ستة آلاف مثل شعبي وتعبير شائع ومعظمها ترجع إلى الفترة ما قبل الإسلام). ويقدم المؤلف تعليقات وحواشي لأغلب الأمثال والتعابير. وتحكي هذه الحواشي والتعليقات عن ظروف ظهور المثل الشعبي أو التعبير الشائع. فنجد على سبيل المثال تعليقا على التعبير الشائع "أحمق من جحا". يقول التعليق: "هو رجل من قبيلة فازار ويلقب بأبي الحسن. ومن بين الحماقات التي يرتكبها نقص الحكاية التالية: ذات يوم مر رجل يدعي عيسى بن موسى الهاشمي بجوار جحا في أحد أطراف مدينة الكوفة. وكان الأخير يقوم بحفر حفرة. سأل عيسى جحا قائلا: "ما بك؟ يا أبا الحسن؟" فأجاب جحا قائلا: "لقد خبئت في هذه الصحراء نقودي وأموالي حيث حفرت حفرة ووضعتها بها. إلا أنني لا أستطيع أن أجد مكان الحفرة". قال عيسى: "كان عليك أن تضع علامة ما على المكان". قال جحا "لقد فعلت ذلك". سأل عيسى: "ماذا كانت العلامة؟" رد جحا قائلا: "سحابة في السماء ألقت بظلها على المكان الذي حفرت فيه. وها أنا لا أستطيع رؤية السحابة!". وهناك مثال آخر وقصه أخرى: خرج جحا ذات مرة ليلا من منزله، حيث عثر في حوش منزله على شخص مقتول فاضطرب جحا وحمل الجثة وألقى بها في بئر منزله. إلا أن والد جحا علم بذلك

(١) المفضل الضبي. أمثال العرب. اسطنبول. ١٨٨٣. ص ص ٢٦-٤٤.

وأخرج القتيل من البئر وأخفاه. ثم قام الأب بقتل خروف وألقى به في البئر. ظل أقارب القتيل يبحثون عنه في شوارع مدينة الكوفة. قابلهم حجا وقال لهم: " لدينا شخص مقتول في منزلنا. تعالوا لتروه ربما يكون هو قريبكم". وصلوا إلى منزل جحا وأنزلوه إلى البئر. وعندما رأي الخروف صرخ قائلا: " هل كان قريبكم ذا قرنين؟". فابتسم هؤلاء وانسحبوا مغادرين.

ونورد مثالا ثالثا: وصل أبو مسلم إلى الكوفة وسأل الناس: "من يعرف منكم جحا فليبعث به إلي في داري". أجاب شخصي دعي ياكطين: " أنا أعرف جحا" وقاده إلى أبي مسلم وعندما دخل جحا إلى غرف الاجتماع لم يكن هناك سوى أبو مسلم وياكطين. سأل جحا: " من منكما أبا مسلم؟".[1]

ويعد جحا من الشخصيات الشهيرة والمعروفة في الفلكلور العربي سواء الحديث أو فلكلور القرون الوسطى. حيث يجمع جحا في شخصيته ملامح الرجل الأحمق البسيط والماكر الحكيم. وعندما يقوم أي من سكان آسيا الوسطى بالقراءة عن حجا فسوف يرى فيه فورا شخصية "الخوجه نصر الدين". وبالفعل يتشابه الرجلان جحا ونصر الدين في كثير من الأشياء. لقد انتشرت النكات العربية عن جحا وشاعت في الشرق الأوسط والأدنى وتم تطعيمها بقصص عن الظرفاء والأغبياء ومنهم الخوجة نصر الدين الذي اشتهر في كثير من المناطق وخاصة آسيا المركزية. واشتهر كتاب جامع النكات عن الخوجة نصر الدين في الشرق العربي حيث مثلت تركيا جسرا في القرن السابع عشر بين آسيا الوسطى والشرق العربي. وتم تطعيم الكتاب لاحقا بكثير من الإضافات (بعض النكات تحكي عن تيمور). وقد احتفظ جحا باسمه في الكتاب الجامع للنكات. ويعد كتاب الميداني الجامع للأمثال مرجعا هاما لا بديل عنه عند دراسة تاريخ كتاب طرائف ونوادر جحا.

---

(١) الميداني. الجزء الأول. ص ٢٢٣. العدد ١١٩١.

ويحتوي هذا الكتاب على مادة شديدة الأهمية بالنسبة للمتخصصين المشتغلين بدراسة الملحمة الشعبية "أيام العرب". حيث يقوم الميداني بنقل وسرد أهم الحكايات التي وردت في هذه الملحمة الشعبية: حول حرب البسوس[١]، وحرب داحس والغبراء[٢]، و"أيام حليمة"[٣] وغيرها. ويخصص الفصل التاسع والعشرون من الكتاب لتقديم قائمة كاملة "بأيام العرب" والتي يبلغ عددها ٢٥٥ يوما منها ١٣٢ قبل الإسلام و٩٣ بعد ظهور الإسلام.[٤]

كما يحتوي الكتاب على عدد كبير من القصص التي تعود إلى عصور ما قبل الإسلام ومنها على سبيل المثال قصة تحكي عن سبعة نسور يملكها لقمان. ويقدم الكتاب تعليقا[٥] على المثل الشعبي "طال الأبد على لبد". يقول التعليق: "يقصدون الصقر ابن عدا وهو الأخير بين صقور لقمان. وقد عاش لقمان حياة طويلة حتى مات آخر نسوره السبعة. وكان يأخذ النسر الصغير إلى شق في الجبل الذي كان لقمان يسكن عند قاعدته. وقد عاش كل نسر من نسور لقمان ٥٠٠ عام يزيد أو يقل بعض الشيء. وعندما كان يموت النسر الأكبر كان لقمان يأخذ نسرا جديدا مكانه إلى شق الجبل. ومات كل النسور إلا السابع الذي أسكنه لقمان في ذلك الشق الجبلي وأطلق عليه اسم لبد وعاش لبد أكثر من كل النسور الأخرى، حتى استخدم العرب اسمه كأمثولة في القول الشهير "طال الأبد على لبد".

وتبدو بعض التعليقات على الأمثال الشعبية في الكتاب على شكل أساطير شعبية أو حكايات قصيرة عن الحيوانات. ومن الأمثلة المميزة على الأساطير الشعبية

---

(١) نفس المرجع. ص ص ٣٧٤-٣٧٦.

(٢) نفس المرجع ص ص ٣٧٩-٣٨٠. الجزء الثاني. ص ص ١١٠-١٢١.

(٣) نفس المرجع. الجزء الثاني. ص ص ٤٥ و٢٧٢-٢٧٣.

(٤) نفس المرجع. ص ص ٤٣٠-٤٤٨.

(٥) نفس المرجع. الجزء الأول. ص ص ٤٢٩-٤٣٠.

التي وردت في كتاب الميداني للأمثال ما يلي: "يحكي العرب أنه ذات مرة رأى أسد حمارا وخاف حوافره القوية وأذناه الضخمة وأسنانه الشرسة وبطنه الكبيرة. فكر الأسد: "لقد خلق هذا الحيوان البغيض كي يقهرني. ألا يجدر بي الذهاب إليه لأتعرف على مكامن قوته؟ ذهب الأسد إلى الحمار وسأله: "ما حاجتك إلى هذه الحوافر الضخمة؟". أجاب الحمار قائلا: " كي أصعد أعلى التلال". ففكر الأسد: "إذا حوافره ليست خطرة". وسأل الحمار:

– لقد رأيت أسنانك. ما حاجتك إليها؟

– كي ألوك بها العلف.

ففكر الأسد في نفسه: "إذا فأسنانه غير خطرة".

– ما حاجتك إلى هذه الأذن الضخمة؟

– كي يجلس عليها الذباب.

ففكر الأسد في نفسه: "إذا فأذناه غير خطيرتين". وسأل الحمار:

– ما حاجتك إلى هذه البطن الضخمة؟

– لأتنفس الكثير من الهواء

فعلم الأسد بضعف الحمار وقطعه إربا).[1]

وسنورد نماذج من الأمثال الشعبية والتعابير الشائعة الواردة في كتاب الميداني لاحقا في الفصل الذي يتناول هذا الجنس الفلكلوري.

وعادة ما يورد الزمخشري كل القصص والحكايات المتاحة والتي تتطابق مع حكايات وقصص الميداني (حول جحا مثلا)[2]، وفي بعض الأحيان يورد قصصا وحكايات مختلفة عن سابقه (على سبيل المثال قصة طائر العنقاء)[3] ويورد الزمخشري

(١) نفس المرجع. ص ص ٤٢٠-٤٢١.

(٢) الزمخشري. المستقصى في أمثال العرب. حيدر أباد. ١٩٦٢. الجزء الأول. ص ٧٦.

(٣) نفس المرجع. الجزء الثاني. ص ١٥٠.

أسطورة شعبية تدور فحواها حول أسد وحمار[1]. ويكمن السبب في هذا التطابق في الحكايات بين الميداني والزمخشري إلى كونهما استخدما نفس المصادر والمراجع. ومن المعروف أن الزمخشري قد علم بوجود كتاب الميداني الجامع للأمثال في وقت متأخر وبعد انتهائه من كتابه.

وتمثل الكتب الجامعة للأمثال الشعبية والحكم مادة هامة بالنسبة للمتخصصين والباحثين في تاريخ الفلكلور. حيث تتعرض هذه الكتب لعملية جمع وتصنيف النصوص التي تنتمي لهذين الشكلين الفلكلوريين. إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن جزءا كبيرا من هذه الكتب الباقية من القرون الوسطى يعتمد بشكل شبه كامل على المصادر المكتوبة الأكثر قدما. وينسحب هذا على كتابي الميداني والزمخشري أيضا. غير أن الحجم الكبير للمادة التي جمعها هذان العالمان بالإضافة إلى فقد المصادر الأقدم والتي اعتمدا عليها يجعل من كتابي الميداني والزمخشري لا بديل عنهما من حيث الأهمية في دراسة الأمثال الشعبية والحكم في القرون الوسطى. بالإضافة إلى ذلك يتشابه هذان الكتابان الجامعان للأمثال بكونهما ارتبطا بشكل أو بآخر بالتقاليد الفلكلورية الحية السائدة في هذه الفترة. وتقع الأمثال الشعبية والحكم الواردة في كتاب الميداني في قائمتين مرتبتين ترتيبا أبجديا: الأول أو الأساسي (٤٧٦٥ مثل شعبي وحكمة ينتمي إلى الزمن القديم وإلى الفترات الأولى من القرون الوسطى)، فيما القائمة الثانية عبارة عن (أكثر من ١٣٠٠ مقولة – أمثال شعبية، تعابير شائعة، حكم شعبية يطلق عليها "المولدون" أي التي ظهرت من جديد بعدما توقف استخدامها"). وقد وضع "المولدون" في نهاية كل حرف أبجدي في كتاب الميداني وهي في أغلبها ترجع إلى فلكلور المدينة عند العرب في القرون من العاشر إلى الثاني عشر. (في حين تضم القائمة الأساسية أمثالا يعود أغلبها إلى حقبة العرب قبل الإسلام).

---

(١) نفس المرجع. الجزء الثاني. ص ١٤٧.

ومنذ القرن الحادي عشر ظهرت كتب خاصة جامعة للأمثال الشعبية لأهل المدن. ويعد كتاب القاضي علي بن فضل الطلقاني الكتاب الأقدم حيث يحتوي على ٦١٣ مثلا شعبيا بغداديا. وقد ولد القاضي الطلقاني بمدينة بلخ (أفغانستان حاليا)[١] وقام بوضع الكتاب عام ١٠٣٠م. وقد شهدت هذه الفترة تقريبا صدور كتاب جامع للثعالبي وهو "كتاب التمثيل والمحاضرة"[٢] حيث يحتوي الكتاب على قسم خاص بأمثال بغداد الشعبية. وقبل انقضاء القرن الرابع عشر كان قد صدر جامع شهير للأمثال المصرية الخاصة بأهل المدن.[٣] فيما صدرت كتب أخرى جامعة مختصة بأمثال أهل المدن فيما بعد في الفترة من القرن الخامس عشر إلى القرن الثامن عشر. وأغلب هذه الكتب صدرت في كل من سوريا ولبنان، وتحتفظ مكتبة باريس الوطنية بمجموعة ممتازة وثرية من هذه الكتب الجامعة.[٤]

ويستمر صدور كتب الأمثال الشعبية العربية في العصر الحديث وحتى يومنا هذا، حيث أصبحت تعتمد بشكل مباشر على المدونات الشفهية. بعض هذه الكتب تم نشرها على يد علماء عرب وغير عرب[٥]، فيما البعض الآخر ينتظر دوره في النشر.[٦]

---

(١) الطلقاني. رسالة في الأمثال البغدادية. القاهرة. ١٩١٣.

(٢) الثعالبي. كتاب التمثيل والمحاضرة. القاهرة. ١٩٦٥.

(٣) ترجمة الأمثال الشعبية العربية في مجموعة مخطوطات فيركوفيتش// الآثار الشرقية المكتوبة. دورية سنوية. ١٩٧٣. ص ص ١٢٠-١٢١.

(٤) *De Sane M. G.* Catalogue des manuscripts arabes. Paris, 1895, p. 645–647.

(٥) *Landberg C.* Proverbes et dictions de la province de Syria section de Sayda, Leide, 1883 *Snouck-Hurgronje. H.* Mekkanische Sorich-worter und Redensarten. Haag, 1886.

(٦) يمكن هنا أن نذكر على وجه الخصوص المجموعة المذكورة التي أعدها ف. جيرجا أثناء إقامته في الشرق العربي.

كتب المختارات العربية في القرون الوسطى والفلكلور

يحتل الأدب التعليمي أو التثقيفي مكانة هامة في منظومة الثقافة العربية في القرون الوسطى، حيث يتضمن هذا النوع من الأدب أخبارا ومعلومات من كافة فروع المعرفة (اللغة والتاريخ والعلوم الطبيعية والجغرافيا الكونية). وقد ظهر هذا الأدب قبل القرن التاسع ووصل إلى قمة ازدهاره في القرنين العاشر والحادي عشر. واستمر ظهور الأعمال الأدبية بعد ذلك. (عادة على شكل كتب المختارات)[١] فيما شهدت هذه الفترة نفسها أيضا ظهور مجالات مختلفة في العلوم وأجناس الأدب وتميزها فيما بينها.

إن المبدأ العام للأدب يتمثل في: "تناول القليل من كل شيء بهدف التنوير لا الإرهاق وتقديم النصح من خلال التسلية".[٢] وقد ساعد هذا المبدأ على استفادة المؤلفين ومصنفي الأعمال الأدبية (وبشكل خاص كتب المختارات الأدبية) من مختلف المواد الفلكلورية والأدبية. ونلحظ في أدب القرون الوسطى العلاقة الوثيقة بين عنصري التسلية والتثقيف في الأعمال الأدبية. نلحظ هذا على امتداد فترة القرون الوسطى كاملة حيث يمثل الأدب العربي نموذجا مميزا في هذا الإطار. ولذا فإنه من الصعب أحيانا تحديد إلى أي جنس أدبي ينتمي العمل الفني: الإرشادي التهذيبي أم إلى النثري الأدبي الرفيع. وكثيرا ما نتعامل مع مؤلفات القرون الوسطى من وجهة نظر الإنسان المعاصر، ومثل هذا الموقف وهذا التناول الذي يبدو سليما من الناحية المنهجية، لا يجدي دائما عند تحليل آثار أدبية مكتوبة بعينها. ويجب دائما أن نضع في

---

(١) يرجع الفضل إلى العالم ف. شوفين في إعداد القائمة الأكثر اكتمالا بعنوانين وأسماء كتب المختارات العربية (٢٥ عنوانا) وقد ضمن ذلك في كتابة البيبليوغرافي المرجعي بعنوان:

Chauvin V. Bibliographie des ouvrages arabes. T. 8. Liege, 1903. p. 57–72.

(٢) بيللا ش. إرهاصات في الأدب//الأدب العربي في القرون الوسطى والثقافة: مجموعة مقالات لعلماء أجانب. موسكو. ١٩٧٨. ص ٦٤.

الاعتبار تلاحم أدب القرون الوسطى، وغياب حدود فاصلة بين الأجناس الأدبية في تلك الفترة.[١]

وعلى ذلك، فإن البحث عن العناصر الفلكلورية لا يجب أن يقتصر فقط على كتب المختارات ذات طابع التسلية والترفيه. حيث إنه في بعض الحالات يمكن أن نحصل على مادة مفيدة من خلال كتب مختارات ذات طابع تعليمي وإرشادي تبدو للوهلة الأولى جافة وغير مسلية.

ومن بين هذه الكتب نذكر على سبيل المثال كتاب "بستان العارفين" لعالم الدين والقانون الشهير أبو الليث السمرقندي (توفي عام ١٠٠٣م). وللوهلة الأولى يتبلور انطباع من خلال العنوان أننا أمام مؤلف فقهي (يدور الفصل الثاني والخمسون حول الطهارة والصلاة، فيما الفصل الحادي والستون يدور حول البيع والشراء والفصل الحادي والتسعون عن زيارة الحمام ... إلخ). وفي جميع فصول الكتاب نجد استشهادات بالأحاديث الشريفة ومن المباحث القانونية، فيما يغيب تقريبا العنصر الفني الأدبي (أحيانا يظهر العنصر الفني الأدبي، فبينما يدور الحديث عن قضايا دينية نفاجأ بالفصل الثالث والعشرين يطرح فيه المؤلف سؤالا للنقاش عما إذا كان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) قد قرأ الشعر أم كان يكتبه بنفسه. ويستشهد المؤلف بقصيدتين منسوبتين إلى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم))[٢] ويمثل هذا الفصل العجيب أهمية كبيرة بالنسبة لمؤرخي الأدب؛ فبغض النظر عن من يكون مؤلف القصيدتين يمكننا تتبع الصلة الواضحة بالتقاليد الفلكلورية. ونرى أن الفصل الثامن بعد المائة والذي يدور "حول سيرة الأنبياء"[٣] يمكنه أن يمثل مادة هامة بالنسبة لمؤرخي الفلكلور. ويبدأ هذا

---

(١) عليف ر. مبادئ إعداد قوائم المخطوطات// كنز المخطوطات. الجزء السادس. باكو. ١٩٨٣. ص ١٩.

(٢) أبو الليث السمرقندي. بستان العارفين. كازان. ١٨٨٠. ص ص ٢٦-٢٧.

(٣) نفس المرجع ص ص ١١٣-١١٨.

الفصل بالحديث عن عدد الأنبياء الإجمالي (١٢٤ ألف نبي) ومن ثم يورد المؤلف معلومات موجزة عن أشهر الأنبياء. ويسرد تفاصيل شيقة لا تتوافر في المصادر الأخرى. فعلي سبيل المثال نقرأ عن النبي نوح عليه السلام أن اسمه الأول هو شاكر ثم "نال اسم نوح لكثرة نحيحه وبكائه. ويعد النبي نوح أول من أمر بتدوين الوصايا والقوانين وقبل نوح كان يسمح للرجال بالزواج من أخواتهم فجاء هو وحرم ذلك"[١]. ثم يمنح أبو الليث السمرقندي اسما عربيا صرفا وهو الوليد بن مصعب لأحد فراعنة مصر.[٢] ويمتنع المؤلف عن الإشارة إلى مصادره عند الحديث عن الأنبياء. غير أنه من الضروري الإشارة إلى أنه عاش في فترة سابقة لتلك التي عاش فيها مؤلفو الجوامع الكبرى لقصص الأنبياء. ومع حلول القرن العاشر كان هناك بعض الكتب الجامعة لقصص الأنبياء[٣]، إلا أنه لا تستثنى هنا فرضية أن يكون السمرقندي قد استفاد واستخدم المعلومات الشفهية التي تناقلت على ألسن العارفين بقصص الأنبياء.

وما يؤكد هذه الفرضية وجود بعض القصص التي تضمنت في كتاب مختارات السمرقندي التعليمية والإرشادية والذي يحمل عنوان "تنبيه الغافلين". حيث نقرأ في الفصول الأخيرة من الكتاب بعض القصص القصيرة: حول النبي موسى وإبليس وحول إبليس وشخص يهودي ورع يدعى بارسيس[٤]، وحول لقاء الثعالبي (من صحابة النبي محمد) بإبليس[٥]، وحول الشاب الذي باع نفسه[٦]، وعدد من القصص التي تبرز منها من حيث الحجم والمضمون قصة حامل السلال وخادمة الملكة، حيث

---

(١) نفس المرجع. ص ١١٤.

(٢) نفس المرجع . ص ١١٥.

(٣) انظر على سبيل المثال : *Khoury R. G.* Les legendes prophettiques dans l'Islam.

(٤) أبو الليث السمرقندي. تنبيه الغافلين. ص ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٥) نفس المرجع. ص ص ٢٥٦-٢٥٧.

(٦) أبو الليث السمرقندي. تنبيه الغافلين. ص ص ١٥١-٢٥٢.

تختلط الأسطورة الدينية بالحب.[١] وفي الباب الأول من الكتاب "باب عداوة الشيطان ومعرفة مكائده" نقرأ أول قصتين فيما القصص الباقية نجدها في "باب الحكايات".[٢] وهنا أيضا لا يقوم أبو الليث السمرقندي بتسمية المصادر التي اعتمد عليها إلا أن أغلب القصص تصور شخصيات بني إسرائيل الذي يوحي بفرضية اقتباس مضامين القصص من "كتاب الإسرائيليات" لمؤلفه وهب بن منبه، العالم الشهير والعارف بالرسالات القديمة. (توفي عام ٧٢١م). ولم يبق من هذا الكتاب إلا بعضه.[٣] وهناك بعض القصص ومنها "لقاء الثعالبي مع إبليس" يمكن أن تكون قد أخذت من الكتب الجامعة الأولى للأحاديث. وعلى أي حال، هناك احتمال قوي أن يكون الفلكلور هو مصدر الجزء الذي يحمل عنوان، "تنبيه الغافلين".

غير أنه ومع تنوع كتب المختارات في القرون الوسطى واختلاف جرعات الإرشاد والتسلية في الآثار الأدبية المكتوبة إلا أنه يتضح بجلاء غلبة كتب المختارات الأدبية التي تقوم على تقديم القصص الشيقة.

وتعود كتب المختارات التي بقيت كاملة حتى يومنا هذا إلى القرن التاسع. نذكر منها "عيون الأخبار"[٤] لصاحبه عبدالله بن مسلم بن قتيبة (٨٢٨ - ٨٨٩م). كان هذا الرجل صاحب علم غزير فهو عالم لغة وحجة في الحديث والفقه. وكان أصل أبيه من منطقة مرو غير أنه ولد ودرس في بغداد ثم عمل قاضيا لعدة سنوات في مدية دينور الإيرانية قبل أن يعود إلى مدينته الأم.[٥] ولذا كان على معرفة كبيرة بالثقافات العربية والإيرانية وآسيا المركزية وربما بتقاليدها الفلكلورية أيضا.

---

(١) نفس المرجع . ص ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٢) ذكر هذا الكتاب على لسان حاجي خليفة (كشف الظنون - العدد ٩٨٢٦).

(٣) ابن قتيبة. عيون الأخبار. الجزء١-٢. القاهرة. ١٩٢٥-١٩٣٠.

(٤) نفس المرجع.

(٥) نفس المرجع.

وفي مقدمة "عيون الأخبار" لابن قتيبة يشير المؤلف إلى الأهمية التعليمية والإرشادية لكتابه الذي يهدف منه حسب قوله إلى "طرح أفكار إلى هؤلاء الذين يخشون التعليم وتذكيرهم بفائدة العلم"[١]، ويشير إلى أنه بالإضافة إلى القصص والأقوال المأثورة ذات الهدف التعليمي والإرشادي، قام بإدراج قصص فكاهية ونكات طريفة كي "يمنح القارئ فرصة للاسترخاء بعد قيامه بمجهود شاق"[٢] وفي الواقع فإن كم النكات كبير جدا في كتاب المختارات لابن قتيبة، ونلحظ الجذور الفلكلورية في أغلبها. ونذكر منها على سبيل المثال الطرفة التي تحكى عن اثنين من المجانين: "دعى أحد السلاطين اثنين من المجاذيب ليسخر منهما. فقالوا له أشياء أغضبته حتى أنه دعى السياف. فقال أحدهما للآخر: "لقد كنا اثنين وأصبحنا ثلاثة (مجانين)".[٣]

وقد انتشرت النكات التي تدور حول المجانين والحمقى والسذج في الفلكلور العالمي بشكل عام والعربي على وجه الخصوص.[٤] والجدير بالاهتمام أن هذه الطرفة تحديدا تظهر في ثوب آخر في "كتاب الأذكياء" للمؤرخ والكاتب البغدادي ابن الجوزي والذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي. ونجد أن الكاتب هنا قد منح كل بطل من أبطاله اسما: فبدلا من القول "أحد السلاطين" نجد السلطان لديه يحمل اسم موسى بن المهدي (ابن الخليفة المهدي)، وأحد المجانين يدعى بهلول (شخصية شهيرة في الفلكلور العربي في القرون الوسطى)، أما المجنون الثاني فيدعى عليان[٥]. وبالإضافة إلى الكثير

---

(١) ابن قتيبة. عيون الأخبار. الأجزاء ١-٤. القاهرة.

(٢) *Brockelmann C.* Geschichte der arabischen Litteratur. Bd. I. Weimar, 1898. S. 120.

(٣) ابن قتيبة. عيون الأخبار. الجزء الأول. ص ١٠.

(٤) نفس المرجع.

(٥) نفس المرجع. الجزء الثاني. ص ٤٧.

من النكات عن الخلفاء والبدو والمجانين وغيره نجد في كتاب ابن قتيبة قصصا خيالية عن الجن[١] بالإضافة إلى أمثال شعبية.

وهناك عالم آخر قام على إعداد كتاب من المختارات الأدبية لا يقل أهمية عن سابقيه، ألا وهو كتاب "العقد الفريد" لصاحبه أحمد بن عبد ربه الأندلسي. (٨٦٠ - ٩٤٠ م). وقد عاش في الأندلس أو اسبانيا الإسلامية في عاصمة إمارة قرطبة. وكان شاعرا من شعراء البلاط عاصر أربعة من ملوك الأمويين وهم الأمير محمد الأول والمنذر وعبدالله والخليفة عبد الرحمن الثالث.

ويعد كتاب ابن عبد ربه الأندلسي واحدا من المصادر الأساسية التي تمنحنا تصورا عن ملحمة "أيام العرب". حيث خصص قسما كاملا من كتابه إلى هذه الملحمة.[٢] ويحتوي الكتاب على الكثير من القصص الأخرى ذات الأصول الفلكلورية (قصص قديمة جدا أو ظهرت في العصر الإسلامي)، إلا أنه من غير الواضح كيف عثر عليها المؤلف هل من مصادر أدبية سابقة عليه أم من ألسنة القصاصين مباشرة. وهناك جزء في الكتاب خصص للأمثال الشعبية وفي معية الأمثال البدوية (أمثال العرب). وقد اقتبست هذه الأمثال بشكل رئيسي من أبي عبيدة حيث أدرجت أيضا أمثال المدن أو "أمثال العامة".

ويعد "كتاب الأغاني" من الكتب الفريدة في ثرائها بالمادة الفلكلورية. وقد قام بإعداد هذا الكتاب العالم الشهير أبو فراج الأصفهاني الذي عاش في الفترة من (٨٩٧-٩٦٧م). ويعد الأصفهاني من كبار العالمين بفنون الشعر والإبداع الغنائي عند العرب القدماء وفي القرون الوسطى. ومن الصعوبة بمكان تقييم أهمية هذا العمل

---

(١) اعتمد الحسن بن محمد النيسابوري في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر على هذه القصص في إعداده لمجموعة اختار لها اسما وعنوانا غير متوقع وهو "كتاب عقلاء المجانين" حيث يورد عددا من المجانين الحقيقيين وغيرهم من وحي خياله.

(٢) ابن قتيبة. عيون الأخبار. الجزء الثاني. ص ص ١٠٩-١١٤.

والمادة التي يضمها بالنسبة لتاريخ الفلكلور. ويمكن تصنيف الكتاب كونه أشعارا وقصصا شعبية عن الشعراء والخلفاء.

وقد ضم الكتاب أيضا بعض المقتطفات من الملحمة الشعبية "أيام العرب". ويشير ب. شيدفار بصدق إلى الطابع الفلكلوري لقصص الشعراء التي تضمنها "كتاب الأغاني" وغيره من كتب المختارات. "يمكن القول إنها ليست سيرا ذاتية بل أساطير وحكايات بكل ما يميزها من سمات وحتى المضامين الخرافية الدائمة". ويورد شيدفار أمثلة لتلك السير الذاتية الخرافية التي تتجسد في القصص التي تحكي عن امرؤ القيس وطرفة وعنترة.

وبالإضافة إلى كتب المختارات الجامعة والكبيرة تم كتابة كتب تتناول مواضيع محددة وتتألف من قصص قصيرة ونكات تتناول موضوعا محددا. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك "كتاب الأذكياء" لصاحبه عبد الرحمن بن علي الجوزي (١١١٦ -١٢٠٠م). وتميز هذا المؤلف، شأنه شأن غيره من واضعي كتب المختارات، بكونه واسع العلم وخلف أثرا كبيرا في تاريخ الثقافة العربية المكتوبة: حيث قام بتأليف أكثر من مائة كتاب ومؤلف في مختلف فنون المعرفة بقيت جميعها حتى يومنا هذا. ويشير ك. بروكيلمان قائلا: "لقد أبدع في جميع فنون الكتابة باستثناء القواعد والعقيدة والعلوم الدقيقة". إلا أن بروكيلمان يناقض نفسه في الصفحة التالية مباشرة عندما يشير إلى مبحث ابن الجوزي في القواعد بعنوان "تقويم اللغة" والذي يتناول "أخطاء العامة". ويمثل المبحث أهمية خاصة لعلم اللهجات العربية والذي لم يتم حتى الآن تناوله بالدراسة بشكل جيد. ونخلص من ذلك إلى أن ابن الجوزي كان واسع الاهتمامات العلمية، كما أنه كان حلو الكلام وخطيبا شهيرا.

ويعتبر "كتاب الأذكياء" واحدا من ثمانية كتب مختارات لابن الجوزي ويتميز بكونه غنيا بالقصص والنكات ذات الأصل الفلكلوري. ومثال على ذلك الفصل الثامن والعشرون من الكتاب والذي يحكي عن "مكر اللصوص ودهائهم". كما يتضمن

الفصلان الأخيران (الثاني والثلاثون والثالث والثلاثون) أساطير وخرافات[١] عن الحيوانات، وهي مرتبطة بشكل ما بالتقاليد الفلكلورية وعلى سبيل المثال نقرأ في قصة الأسد والذئب والثعلب الخرافية أن الأسد يحمل اسم أبي الحارث أما الثعلب فاسمه أبو معاوية.[٢] ونجد هنا سمة مميزة للأدب الشعبي عند كثير من الشعوب ألا وهي منح أسماء أو جزء من أسماء بشر لحيوانات. وذلك على الرغم من كون ابن الجوزي لم يخف عن قرائه اقتباسه لهذه القصة الخرافية من مرجع أدبي بعنوان "الجليس الصالح الكافي والأنيس النامح الصافي" وهو كتاب مختارات تعليمي وإرشادي صدر في بغداد في القرن العاشر للقاضي المعافى بن زكريا النهراواني، حيث تعود أسماء الحيوانات في الكتاب إلى تقاليد فلكلورية حية.

وقد استخدمت اقتباسات واستشهادات من "كتاب الأذكياء" على نطاق واسع من قبل مؤلفي كتب المختارات اللاحقين. حيث قام العالم المصري الذي عاش في القرن الخامس عشر محمد بن أحمد الأبشيهي بالاستشهاد كثيرا "بكتاب الأذكياء" في كتابه الكبير "المستطرف في كل فن مستظرف". وعادة ما يؤكد الباحثون على الطابع التصنيفي، مشيرين إلى الاستخدام الواسع والمتكرر للكتب السابقة ومنها "عيون الأخبار" لابن قتيبة و"العقد الفريد" لابن عبد ربه الأندلسي.[٣] غير أن الأبشيهي لم يتقيد بما جاء من بساطة في التصنيف في الكتب السابقة وغيرها من المؤلفات، بل قام بشكل ما بالتعبير عن التقليد الفلكلوري الحي لزمنه. ونستشعر هذا التقليد

---

(١) كثير من القصص (بعضها فكاهي) تتحدث عن نشاط ابن الجوزي في الخطابة وهي محفوظة في مختلف المصادر والمراجع التاريخية. غير أن أهم الدلائل على نشاطه في هذا المجال تتمثل في مجموعات الخطب التي أعدها بنفسه والتي تزيد عن الثلاثين مجموعة وكذا المبحث الذي يتناول فن الخطابة والذي يحمل عنوان "كتاب القصص والمذكرين" (صدر في بيروت عام ١٩٧١م).

(٢) ابن الجوزي. كتاب الأذكياء. القاهرة. ص ص ١٤٢-١٥٦.

(٣) نفس المرجع. ص ص ١٨١-١٩٢.

بجلاء في مجموعة الأمثال المدنية المصرية والتي تمثل جزءا من الكتاب.[١] وتضم المجموعة ما يقارب الثلاثمائة مثل شعبي تقع في ترتيب أبجدي ؛ ونلحظ في كثير من الأمثال ملامح اللهجات المصرية : ضمائر الإشارة "ده" و"دي" و"آدي". ونلحظ في بعض القصص والأساطير الخرافية الواردة في كتاب "المستطرف" تقاربا مع المصادر الفلكلورية.

وعلى سبيل المثال نجد في كتاب "المستطرف" شكلا من أشكال القصص الخرافية حول اقتسام فريسة بين أسد وذئب وثعلب، حيث تختلف هذه القصة عن أغلب أشكال تناولها في المؤلفات العربية. فوفقا للأبشيهي اصطاد أبطال القصة حمارا وظبيا ودبا ، في حين تورد معظم الأدبيات العربية (وخاصة "كتاب الأذكياء" لابن الجوزي) أن الفريسة كانت عبارة عن حمار وأرنب وظبي. والمثير للاهتمام أن بعض القصص الخرافية الأخرى للأبشيهي (بما في ذلك التي سبقت هذا الكتاب مباشرة) قد اقتبست تحديدا من "كتاب الأذكياء" وهو الأمر الذي أشار إليه بنفسه. إلا أنه يورد هذه القصة دون الإشارة إلى مصدره. كما يستبعد أن يكون قد اقتبسها من ابن الجوزي : حيث إن هناك اختلافا كبيرا من حيث الحجم بين النصين، كما أنه لا يمكن أن يكون تفسير التباين في الحيوانات بين الأرنب والدب على أنه خطأ مطبعي حيث أن الكلمتين تتطابقان في حرف واحد فقط فيما باقي الحروف مختلفة ولا يوجد أي ملامح تشابه بين الحيوانين يمكن أن يوحي بحدوث خطأ مطبعي غير مقصود. إن قصة الأبشيهي قد تكررت في كتاب للمختارات صدر في القرن الثامن عشر.[٢] والمرجح أن هناك نسخة مغربية للحكاية بنفس مضمون قصة الأبشيهي وقد قام بتدوينها المستعرب الفرنسي إي. ليفي بروفانسال في مدينة ورقا المغربية في عام ١٩١٨م.[٣] وفي مدونة ليفي بروفانسال

(١) نفس المرجع. ص ١٨٩.

(٢) الأبشيهي. المستطرف. الجزء الأول. ١٩٨٩م. ص ص ٣٩-٤٦.

(٣) مخطوطات مكتبة جوته العلمية البحثية. عرب ٢٧٠٦. المخطوطة ٤١ ب.

نجد الدب إحدى الفرائس التي اصطادها الأسد والذئب والثعلب كما ترجمها إلى اللغة الفرنسية على النحو التالي (ours) ومعناها - دب. في كل حكاية وأسطورة منطق ما. وفي هذه القصة تحديدا نجد أن هناك ثلاثة حيوانات مفترسة يصطادون حيوانا رابعا ليس أقل ضخامة أو وحشية (ليس من قبيل الصدفة أن جميع الأساطير الأخرى التي تناولت هذه القصة لم تستخدم الدب كفريسة). كما أنه من الصعب تفسير ذلك حتى من الناحية الصوتية، لماذا حرف "د" عادي في كلمة "دب" يتحول فجأة إلى حرف مشدد.[١]

ويوجه ف. ليبيديف الاهتمام إلى تطابق واضح بين نسختي الأسطورة عند كل من الأبشيهي وليفي بروفانسال: "في آخر كلمات الأسطورة وردا على سؤال الأسد من علمه هذه القسمة؟ يرد الثعلب قائلا: "ذلك التاج الذي على رأس الذئب!". (هذا ما جاء في نسخة ليفي بروفانسال، أما في إصدارات "المستطرف" فيجري الحديث عن "تاج أحمر" أي "تاج دموي"). وبعبارة أخرى، يتم وصف مصير الذئب بشكل استعاري وطبيعي في نفس الوقت: حيث تتسم هذه النهاية بكونها فلكلورية أكثر منها أدبية"[٢]. ويدعى الأسد في نسخة الأبشيهي وابن الجوزي أبا الحارث بينما جاء الثعلب دون اسم.

إن تحليل العناصر الفلكلورية للأسطورة المذكورة على يد ف. ليبيديف واستخدام كتب المختارات لابن الجوزي والأبشيهي كنماذج للتطبيق هو مثال واضح على استخدام كتب المختارات لدراسة مضامين فلكلورية محددة.[٣]

---

(١) *Levi-Provencal E.* Teztes arabes de L'Ouargha. Paris, 1922. p. 50–51.

(٢) راجع: ليبيديف ف. اللغة العربية في القرون الوسطى المتأخرة. موسكو. ١٩٧٧. ص ٣٤.

(٣) ليبيديف ف. عن الأدب العربي والتقاليد الفلكلورية في إحدى أساطير اوزون//موسكو. ١٩٧٨. ص ص ٢٣-٢٤.

ومنذ القرن الرابع عشر وفي ظل انهيار الأدب العربي التقليدي (أدب البلاط)[1] واللغة العربية الفصحى، ظهر نوع جديد من كتب المختارات التي استهدفت ليس الحكام ومشاهير الناس بل المواطن العادي (الحرفي أو التاجر الصغير وغير ذلك). وقد أبرز الأكاديمي إ. كريمسكي للمرة الأولى هذا النوع من كتب المختارات حيث أطلق عليها اسم "جوامع الطرائف والنكات المكتوبة بلغة أكثر عامية". ويقترح ليبيديف مصطلحا لتسميتها وهو "كتب المختارات الشعبية أو الفلكلورية".

ومن بين أشهر هذه الكتب الشعبية كتاب جامع للقصص التي تدور حول الخبث الأنثوي والذي صدر في مصر في القرن الرابع عشر على يد كاتب مجهول. وهذا الأثر موجود ومحفوظ حتى الآن في مكتبة باريس الوطنية ضمن قائمة الآثار الأدبية التي ترجع للعام ١٤٧١م. ويحتوي الكتاب على ٢٥ قصة قصيرة أغلبها مقتبس من الفلكلور. ومثال ذلك القصة التي تحمل رقم ستة (من الرق العشرين إلى الرق السابع والعشرين) وتدور حول شيخين قضيا طوال حياتهما يدونان ويسجلان قصصا وحكايات عن المكر والخبث الأنثوي. وقد انتشرت في الفلكلور العربي نسخ تعرض تناولا مختلفا لهذا المضمون، ويبدو أن القصة في الكتاب المذكور قد اقتبست بشكل شفهي حيث يتميز النص بالثراء في استخدام ألفاظ تنتمي إلى لهجات.

ومع مرور الزمن ازداد تغلغل المضامين الفلكلورية في المختارات الأدبية والتعليمية. حيث تحتوي مجموعة المخطوطات بفرع ليننغراد التابع لمعهد الاستشراق الاكاديمي للعلوم على كتاب المختارات يعود إلى القرن الثامن عشر. ويحتوي الكتاب بالإضافة إلى قصص عن الخلفاء اقتبست من المصادر الأدبية (والمشار إليها في الكتاب بدقة) وحافظت على لغة فصحى صارمة، هناك أيضا قصص يمكن أن نحقق ونؤكد أصولها الفلكلورية انطلاقا من تحليل المضامين واللغة. ومثال ذلك قصة باللهجة

---

(١) هذا فقط واحد من الجوانب التي تمثل أهمية ملحة في بحوث علم التعريب للدراسة المنتخبات العربية في القرون الوسطى. راجع كراتشكوفسكي إ. المؤلفات المختارة. الجزء الأول. ص ٢٤٦.

السورية حول زوج مخدوع: تتسلق الزوجة على الشجرة متصنعة بأن ما تراه هو غير حقيقي، ثم تجبر زوجها بتسلق الشجرة وتشرع في مداعبة عشيقها على مرأى من زوجها الذى يعتقد أن كل ما يراه هو غير حقيقي. وهو مضمون فلكلوري بامتياز ومعروف عند الكثير من الشعوب.

وتنتظر المادة الفلكلورية الثرية المتضمنة في الكتب العربية في القرون الوسطى – سواء المخطوطات أو المطبوعة – أن يتم دراستها وبحثها وتصنيفها من قبل المتخصصين.

الأدب العلمي العربي في القرون الوسطى والفلكلور

إن العلم والفلكلور يمثلان ظاهرتين ثقافيتين تبدوان بعيدتين كل البعد عن بعضهما البعض. وفي عصرنا هذا يمكن أن نرى تلاحمهما في حالتين فقط: في علم الفلكلور وفي الطرفات والنكات المنتشرة عن العلماء.

وكان الوضع جد مختلف في القرون الوسطى. فقد تميزت واتسمت الفترة المبكرة من تطور العلم بوجود عناصر فلكلورية في كثير من المؤلفات العلمية العربية.

ولم يكن هذا السبب هو الوحيد في انتشار النصوص والمضامين الفلكلورية في المؤلفات العلمية العربية في القرون الوسطى. حيث يمكن تبرير المواد الفلكلورية في كتب اللغة باهتمام العلماء بالإبداع الشعبي الشفهي وخاصة المؤلفات المبكرة. ومن هذه المؤلفات نذكر على سبيل المثال "كامل" لعالم اللغة البصري المبرد. (عاش في الفترة من ٨٢٦–٨٩٨ م). ويجمع هذا العمل بين النصوص النثرية والشعرية والفلكلورية رغم اختلافها من حيث طبيعتها ومضمونها. ويفسر المؤلف سبب جمعه كل هذه المادة في كتاب واحد بضرورة تفسير وشرح الكلمات الصعبة والتعابير الغامضة (حرفيا: "الألفاظ الغريبة والمعاني الخفية") أي أن المؤلف يضع الطابع اللغوي لكتابه في مقام الأول.

ومنذ القرن السادس عشر ظهرت أشكال جديدة من الشعر الشعبي (الموشحات والأزجال والمواويل وغيرها)، التي انعكست وتجسدت في عدد من مؤلفات الشعر والعروض. ومن بين أول المؤلفات التي تناولت الشعر الشعبي نذكر مبحث "الكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي" لصاحبه صفي الدين الحلي. (١٢٧٨-١٣٥١). وقد شهد القرن الخامس عشر صدور مباحث مماثلة لكل من ابن حجه الحموي وعبد الوهاب بن يوسف الكردي، فيما شهد القرن السادس عشر صدور مباحث لمحمد بن أحمد بن الياس الحنفي.[١]

ويشير ف. ليبيديف إلى أنه "وعلى امتداد فترة القرون الوسطى قام العلماء بإعادة قص وسرد الأساطير المقتبسة والمأخوذة من مصادر سابقة (حتى لو كانوا غير معجبين بها)"[٢] وقد هيمنت على المؤلفات المبكرة حالة من الإعجاب بالأساطير والقصص المأثورة.

وتعكس الكتابات التاريخية العربية (في الفترة المبكرة - من القرن الثامن إلى الحادي عشر) حكايات قبلية مأثورة من التاريخ العربي القديم بالإضافة إلى قصص النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وغزواته هو وصحابته وعن الخلفاء ومشاهير رجال دولة الخلافة. كما تتضمن هذه المؤلفات قصصا وأساطير يهودية وسورية وبيزنطية وفارسية. وترتبط المؤلفات التي تتناول أصل القبائل العربية القديمة بالفلكلور، حيث يقترن هذا الحديث عادة بسرد الكثير من القصص.[٣] ويحتوي كتاب "سيرة النبي محمد" لابن إسحاق (توفي عام ٧٦٧م) على الكثير من القصص الأسطورية والحكايات المأثورة. وقد قام ابن هشام (توفي عام ٨٣٣ م)[٤] على تدقيق وتحقيق الكتاب. كما نجد

---

(١) *Brockelmann C.* GAL. BD. 2, S. 707, 303; Suppl. 2 . S. 9, 916, 414.

(٢) ف. ليبيديف. قضايا علم المصادر في فلكلور القرون الوسطى. ليننجراد. ١٩٨٠. ص ١٩.

(٣) ف. ليبيديف. الآثار المكتوبة وقضايا تاريخ ثقافة شعوب الشرق. موسكو. ١٩٧٧. ص ص ١٨-٢٥.

(٤) عبداللطيف ساتييف. ملخص رسالة الدكتوراه في الآداب. موسكو. ١٩٨٨م.

كما كبيرا من الأساطير القديمة عند العرب في المؤلفات التاريخية التالية : "كتاب المعارف" لابن قتيبة و" كتاب الأخبار الطوال" لابن حنيفة الديناوري (٨٢٨ - ٨٩٥ م) وكذا كتاب الطبري الشهير (٨٣٨-٩٢٣). فبالإضافة إلى قصص رسل وأنبياء الإنجيل (بصياغة عربية إسلامية) استخدم الطبري قصص وأساطير ما قبل الإسلام حول القبائل العربية القديمة "عاد" و"ثمود" وغيرهم. كما قام الطبري بالاستشهاد بأكثر من مائتي مثل شعبي.[١] ويقف كتاب "مروج الذهب" لعلي بن الحسين المسعودي (توفي عام ٩٥٦م) على الحد الفاصل بين الأدبين التاريخي والجغرافي. وعادة ما يقتبس المسعودي القصص الفلكلورية رغم أنه أحيانا يظهر رؤيته التشاؤمية تجاهها. فعند حديثه عن الطائر الأسطوري العنقاء يلاحظ المسعودي أنه لم يجد شخصا رأى هذا الطائر في الواقع إلا أنه يورد حكاية عن هذا الطائر في مكان آخر من كتابه.

كما يشكك المسعودي أيضا في وجود "النسناس" الحيوان الشبيه بالإنسان، حيث يقول ساخرا: "يحكي سكان الشرق أن النسانيس تعيش في الغرب فيما سكان الغرب يقولون إنهم يعيشون في الشرق"، إلا أنه يتبع هذه الجملة بقصص وحكايات عن النسانيس ويورد معلومة جد هامة بالنسبة لمؤرخي الفلكلور حينما يقول إن هذه القصص منتشرة في كل من حضرموت واليمن وعمان.

ويرجع الفضل الكبير في تحديد المؤلفات الجغرافية التي تهم مؤرخي الفلكلور إلى الكتاب المرجع الأصيل للأكاديمي كراتشكوفسكي والذي يحمل عنوان "الأدب الجغرافي العربي". وتكثر المواد الفلكلورية في المؤلفات التي تتناول الجغرافية الكونية حيث مواضيع معجزات وعجائب مختلف البلدان. وقد خصص المستعرب ف. ديميتشيك (١٩٣٠-١٩٨٧م) عددا من أعماله لدراسة وبحث المؤلفات العربية حول الجغرافيا الكونية.[٢] ومن بين المؤلفات العربية التي تنتمي إلى هذا التوجه نذكر كتاب "عجائب المخلوقات" لمؤلفه

---

(١) جاءت هذه الأمثال جميعها في ملحق خاص بكتاب الطبري. ص ص ٧٩٩-٨٠٧.

(٢) ديميدتشيك ف. الأدب العربي قبل القرن الرابع عشر. موسكو. ١٩٧٩.

زكريا بن محمد القزويني (توفي عام ١٢٨٣م) وكتاب "خريطة العجائب" لسراج الدين عمر بن الوردي (النصف الأول من القرن الخامس عشر).

وتشغل المادة الفلكلورية مساحة هامة وكبيرة في مؤلفات علم الحيوان، وخاصة في كبريات جوامع الكتب عند الجاحظ "كتاب الحيوان" والضميري (١٣٤٤-١٤٠٥) "حياة الحيوان". وما يهم عالم الفلكلور هنا ليس فقط ما تحويه هذه الكتب من قصص قصيرة عن كائنات أسطورية (العفاريت والجن والنسانيس وطيور الرخ والعنقاء) بل تمثل الأمثال الشعبية والأساطير والحكايات الشعبية عن الحيوانات الحقيقية والموجودة في الواقع أهمية كبيرة أيضا. ومثال ذلك نكتة تقسيم الدجاجة التي اكتشفها ف. روزين في "كتاب الحيوان" للجاحظ وقام بنشرها. وتجدر الإشارة إلى أن فهرس المواد الفلكلورية التي تتضمنها مؤلفات هذا المستعرب قد استفاد في أغلبه من كتاب الجاحظ. وقد صدر هذا الفهرس في بغداد عام ١٩٧٧م.[١] ويفاجئنا الضميري[٢] بتضمينه قصصه وحكاياته الخرافية عن الحيوانات بسلسلة كاملة من القصص عن الخلفاء حيث تختلط الحقائق التاريخية الواقعية بالنكات الفلكلورية. (على سبيل المثال يذكر المؤلف أن الخليفة الوليد الثاني شيد لنفسه، كما يقال، حوضا للسباحة وملأه بالنبيذ).[٣]

مؤلفات الأدب الشعبي العربي

بالإضافة إلى المؤلفات التي يمكن اعتبارها علمية من وجهة النظر المعاصرة، يتوجب على مؤرخ الفلكلور أن يضع في اعتباره قطاعا واسعا من الأدب في مختلف جوانب ثقافة القرون الوسطى لا ينظر إليها الآن كونها مؤلفات علمية (النجوم والسحر والكيمياء)، حيث يغلب فيها الخيال على التفكير العلمي. ويمكن إبراز الكثير

---

(١) الموروثات الشعبية في آثار الجاحظ بغداد. ١٩٧٦.

(٢) الضميري. حياة الحيوان. القاهرة. ١٨٩١. الجزء الأول. ص ص ٤٤-٩٦.

(٣) نفس المرجع. ص ٦٨.

من الملامح والعناصر الفلكلورية في أجناس بعينها من الأدب الديني (الخطب والمؤلفات الجدلية والصوفية).

فعلى سبيل المثال أثبتت إحدى الدراسات أهمية دراسة الخطب الإسلامية بالنسبة لمؤرخي الفلكلور العربي.[١] غير أن جميع هذه المؤلفات لا يمكن أن تعتبر مصادر أساسية تعكس تاريخ الفلكلور، ولذا يجب هنا التقيد بذكر حقيقة وجودها دون التعمق في دراسة سماتها.

وفي دراستنا لتاريخ الفلكلور العربي من المفيد أن نبحث مجموعات المصادر الأكبر حجما والأكثر أهمية – ألا وهي مؤلفات الأدب الشعبي العربي. "إن الأدب الشعبي هو عبارة عن تجمع لعدد من الأجناس الأدبية يحدث نتيجة لعمليات الصياغة الأدبية الجماعية للمضامين الفلكلورية وإضفاء الصبغة الفلكلورية على مضامين أدبية شهيرة. وتتسم هذه العمليات بكونها معقدة ومتنوعة ومتفاعلة وممتدة. وقد تناقلت الآثار الأدبية الشعبية بطريقتين: المكتوبة والشفهية".[٢]

وعلى امتداد قرون عديدة شهد الشرق العربي عملية انتقاء المضامين والموضوعات الفلكلورية الأكثر شهرة وشيوعا والتي وضعها العرب بأنفسهم أو تلك التي اقتبسوها من الشعوب الأخرى. وقد تغير شكل هذه الموضوعات وتمت الإضافة إليها وضمت إلى غيرها وتمت صياغتها أدبيا ومن ثم عادوا في شكلهم الجديد إلى الفلكلور حيث تعرضت من جديد لبعض التعديلات. وأحيانا كان الأدب الشعبي الشفهي والمكتوب يتطوران في نفس الوقت وفي أحيان أخرى كانا يتبادلان ثورات التطور والتحديث. وبشكل خاص ارتبط تقسيم الروايات الشعبية المخطوطة إلى أجزاء باحتياجات القصاصين الحقيقية (عادة كان الجزء الواحد يحكى على مدى ليلة كاملة).

---

(١) ليبيديف ف. الخطابة الإسلامية والفلكلور العربي // الروحانية والحياة السياسية في الشرق الأوسط والأدنى في فترة الاقطاع. موسكو. ١٩٨٥. ص ص ١٢٩-١٣٣.

(٢) ليبيديف ف. قضايا. . . . ص ٢٣.

وينطبق الأمر نفسه على "ألف ليلة وليلة" حيث كانت الحكاية تتوقف عند الجزء الأكثر تشويقا.

لقد توصل العلماء إلى التحقيق والتوافق على نصوص أهم الآثار الأدبية الشعبية في القرن التاسع عشر حيث تم نشر هذه الكتب. (رغم أن هناك الكثير من مؤلفات هذا النوع الأدبي مازالت لم تنشر حتى الآن). وترجع بداية عملية تشكيل هذا الجنس الأدبي المسمى بالأدب الشعبي إلى فترة مبكرة جدا - القرنين التاسع والعاشر الميلادي، حيث شهدت صدور الكتاب العربي الجامع للحكايات "ألف ليلة" والمترجم عن الفارسية وهو الكتاب الذي مثل نواة للتحفة الأدبية الشهيرة "ألف ليلة وليلة". كما شهدت هذه الفترة بداية انتشار قصص العشق[1] والتي بقي البعض منها حتى يومنا هذا (على سبيل المثال قصة "بشر وهند"). وتعود مخطوطات مؤلفات الأدب الشعبي العربي أساسا إلى الفترة من القرن الرابع عشر إلى الثامن عشر الميلادي.

ويسمح تحليل مضمون هذه المؤلفات الأدبية ومخطوطاتها بالاعتقاد بأن جزءا كبيرا منها قد كتب في الفترة من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي.[2] وقد شارك سكان جميع البلدان العربية في كتابة هذه الآثار الأدبية إلا أن النصيب الأكبر في هذا الإطار كان للعراق ومصر.

ووفقا للتصنيف الذي وضعه ف. ليبيديف، يشتمل الأدب الشعبي العربي على الأجناس التالية:

١ - الروايات والملاحم الشعبية (السير الشعبية)؛

٢ - القصص الشعبية؛

---

(١) ليبيديف ف. قصتان عربيتان مجهولتان من القرون الوسطى. // شعوب آسيا وإفريقيا. موسكو. ١٩٧٦. العدد الرابع. ص ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) تم التوصل إلى هذه النتيجة بعد دراسة المخطوطات القديمة للأدب الشعبي العربي. راجع كتاب ليبيديف ف. قضايا... ص ص ٢٣-٢٥.

٣- الحكايات الأدبية ؛

٤- القصص الحياتية القصيرة ؛

٥- قصص المغامرات ؛

٦- القصص التعليمية والإرشادية القصيرة ؛

٧- النكات أو الطرائف ؛

٨- الفن المسرحي الشعبي.[١]

وتتميز السيرة الشعبية بكبر حجمها وغزارة مواضيعها ومضامينها القصصية وبنيتها المركبة. ونجد بطلا واحدا دائما في مركز الأحداث. وهناك أيضا سير كبيرة يكون بطلها الأوحد قبيلة كاملة مثل بنى هلال. ويطلق الباحثون الأوربيون بحق على هذا النوع من السير اسم ملحمة ويبرزونها بين جنس الروايات. ومن فرط إعجابها بهذا العمل الأدبي الكبير اقترحت الباحثة المتخصصة د. أونايفا تسمية جميع الروايات الشعبية العربية "بالملاحم"[٢] إلا أنه من غير المفيد هنا الحديث عن تبديل المصطلحات.

وهناك عدة قوائم للسير الشعبية[٣] إلا أنه لا يوجد بينها قائمة مكتملة. وسوف نعدد هنا بعض السير الأكثر شهرة: "سيرة ذي القرنين" أي الاسكندر الأكبر وهي النسخة العربية لرواية الإسكندر المقدوني حيث تمتزج المضامين اليونانية القديمة بالمضامين اليمنية القديمة والسورية والقبطية، وسير الملك سيف بن ذي يزن وسيرة سيف التيجان وسيرة الشاعر الفارس عنترة وسير أصحاب النبي وسير كل من ذات الهمة والبطال وعمر بن النعمان والصياد جودر وسيرة السلطان الظاهر بيبرس وروايتين تعودان للعصر المملوكي تدور أحداث الأولى عن أحمد الدنف والثانية عن شخصية الزيبق.

---

(١) ليبيديف ف. قضايا . . . . ص ٢٣.

(٢) أونايفا د. سيرة بني هلال. ص ٨.

(٣) ابراهيموف ن. السيرة الشعبية العربية. ص ٨.

وقد تم ترجمة بعض هذه الروايات إلى لغات أخرى وهي متاحة لكثير من القراء. وقد أولى ن. ابراهيموف في كتابه المرجعي الأساسي[١] اهتماما كبيرا بتحليل العناصر الفلكلورية في السير الشعبية الأمر الذي يعفينا من عناء تقديم وصف تفصيلي لهذا الفرع الكبير من فروع الأدب الشعبي. (لراغبي التعرف على النصوص الأصلية يمكنهم الحصول على هذه الأعمال في المكتبات الوطنية الكبرى في موسكو وسان بطرسبورج بالإضافة إلى المجموعة المنتقاة الغنية الموجودة بمكتبة معهد الاستشراق – فرع لينينجراد "سان بطرسبورج"). كما تحتوي هذه المكتبات أيضا على العديد من المخطوطات القيمة لهذه الروايات.[٢]

وتختلف القصة الشعبية ("القصة" في القرون الوسطى) عن الرواية كونها أصغر في الحجم كما أنها أبسط في المضمون.

وعادة ما تضم القصة الشعبية بضعة مشاهد أو حتى مشهد واحد مهم.[٣] في حين تتضمن القصة القصيرة أو الحكاية عادة مشهدا واحدا فقط. وتختلف النكتة عن القصة أو الحكاية بقصرها الشديد وبلوغ الذروة في التعبير عن المضمون والنهاية غير المتوقعة.[٤]

ويزداد عدد القصص الشعبية العربية من القرون الوسطى كثيرا عن السير الشعبية، إلا أنه يجب الأخذ في الاعتبار أن ما بلغنا رغم ذلك هو القليل منها. فمن بين

---

(١) المرجع السابق.

(٢) ليبيديف ف. بعض قضايا دراسة النص في السير الشعبية العربية// قراءات في إبداعات بارتولد. ١٩٨٤. ص ص ٥٥–٥٧ ؛ نفس المؤلف. آثار الأدب الشعبي العربي في مجموعات ا. فيركوفيتش. ملخص رسالة الدكتوراه في الآداب. موسكو. ١٩٦٩.

(٣) أونايفا د. حول طبيعة بنية "سيرة بني هلال"// قضايا أدب الشرق وعلم النص موسكو. ١٩٧٥. ص ٨ .

(٤) جوسيف ف. جمالية الفلكلور. لينينجراد. ١٩٦٧. ص ١٢٧.

مئات القصص الشعبية المعلومة للعالم البيبليوغرافي ابن النديم (القرن العاشر) لم يصلنا سوى أربع منها فقط وهي: "المجنون وليلى" و"البشير وهند" و"وضاح اليماني وأم البنين" و"العباس وفوز الحسن". وفي بداية السبعينيات من القرن العشرين اكتشف ف. ليبيديف فقرات من مخطوطات قصة "الخليفة الوليد الثاني وسلمى" والتي لم يكن معروفة عنها سابقا سوى اسمها فقط ومن خلال فهرس عناوين لأحد الكتب الأدبية الجامعة.

ويبرز ليبيديف نوعين رئيسين من القصص العربية في القرون الوسطى: القصص الغرامية (الرومانسية) والقصص التعليمية أو الإرشادية. وتنقسم القصص الغرامية أو الرومانسية بدورها إلى ثلاثة أشكال فرعية: الرومانسية العاطفية، وقصص المغامرات الغرامية، والقصص العاطفية المغامراتية. وتلعب المشاعر ومعاناة الأبطال الدور الأهم في قصص النوع الأول. ويتجسد ذلك بجلاء في مجموعة القصص العذرية وأشهرها قصة "المجنون وليلي" وكذا قصة "الوليد وسلمه". ويناضل الأبطال في قصص المغامرات الغرامية من أجل سعادتهم التي يحققونها في النهاية. ويمكن هنا أن نذكر كمثال قصة طلحة "ابن القاضي القاهري" وجاريته تحفة.[1] ويعد النوع الأخير من القصص العاطفية هو الأكثر تعقيدا، حيث "يتحدث فيها القصاصون عن معاناة الأبطال وبالإضافة إلي ذلك يتحدثون عن مغامراتهم"[2] ومثال ذلك قصة "أنس الوجود والورد في الأكمام" من كتاب "ألف ليلة وليلة" والتي صدرت بالقاهرة عام ١٩٠٨م. وقصة ابن ملك الهند يوسف وابنة ملك اليونان الهيفا. ومن أمثلة القصص الشعبية التعليمية أو الإرشادية نذكر القصة التي تحكي عن الجارية الحكيمة تودد وهي القصة التي يتضمنها كتاب "ألف ليلة وليلة". ونجد ذكرها في كل من القوائم المنفصلة وكذا في الكتب الجامعة للمخطوطات.

---

(١) ليبيديف ف. قصتان عربيتان مجهولتان من القرون الوسطى. ص ص ١٣٣-١٣٥.

(٢) نفس المرجع. ص ص ١٣٠-١٣٣.

ويقدم ف. شوفين في كتابه "البيبليوغرافيا" القائمة الأكثر اكتمالا للقصص الشعبية العربية في القرون الوسطى والمؤلفات القصصية الأصغر حجما في الأدب الشعبي. وتتجسد كل هذه الأجناس القصصية في كتاب "ألف ليلة وليلة" وسيتم شرحها تفصيلا لاحقا عندما نتحدث عن سمات هذا الأثر الأدبي الشهير. وتعد الحكاية الأدبية الجنس الأدبي الأنسب لوصف كتاب "ألف ليلة وليلة". والحكاية الأدبية هي مؤلف أدبي مضمونه خيالي له بنية تركيبية مميزة للحكاية الفلكلورية ولكن بصياغة أدبية.

وقبل أن ننتقل إلى كتاب "ألف ليلة وليلة" يجب أن نتحدث قليلا عن الفن المسرحي الشعبي العربي في القرون الوسطى. وقد ظهر مسرح الظلال في الحقبة الفاطمية (من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر) بوصفه "تسلية للحاكم". إلا أنه ومع حلول القرن الثالث عشر تحول هذا الفن إلى "الانتشار بشكل واسع في ساحات المدن" وقد تطور هذا النوع من الفنون إبان الحكم المملوكي في اتجاهين: الشعب والبلاط. ومن الأعمال الفنية المسرحية التي تنتمي للمسار الأول نذكر مسرحيات محمد ابن دانيال (١٢٤٨-١٣١٠م) "طيف الخيال" و"عجيب وغريب" و"المتيم" . ومن مسرحيات البلاط نذكر مسرحية "المنار" (منار الإسكندرية) والتي كتبت في القرن الثالث عشر باللهجة المصرية.[1] ويلاحظ غياب أي إشارة إلى مؤلف هذه المسرحية، بالإضافة إلى قربها من حيث اللغة والأسلوب معا إلى الفلكلور ومن حيث الموضوع إلى السيرة الشعبية (الحرب ضد الثعالبين). كل هذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذه المسرحية من الأدب الشعبي. ولا نعتقد أن هذه المسرحية هي الوحيدة في هذا السياق. حيث نلحظ ملامح فلكلورية في مسرحيات ابن دانيال أيضا. وقد شاع مسرح الظلال في كل من مصر وسوريا حتى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ولم يختف إلا مع ظهور الفن السينمائي.

---

(١) تيموفييف أ. مسرح الظل المصري "خيال الظل"// قضايا علم الأدب وعلم النص الشرقي. موسكو. ١٩٧٥. ص ص ٣٦-٣٧.

وكان النساخ عادة ما يقومون بتجميع القصص الشعبية والقصص القصيرة والنكات في كتب جامعة، تختلف عن كتب المختارات بكونها غير منتظمة الظهور إلا أنها أكثر قربا من الفلكلور وتفتقد إلى الإشارة إلى المؤلفين والمعدين، الأمر الذي يسمح بالاعتقاد بالطابع الجماعي في إعدادها. إن العدد الكبير لمخطوطات هذه الكتب التي بقيت حتى يومنا هذا وحالتها الممتازة مقارنة بكتب المختارات العادية، يسمح لنا بأن نبرزها كونها نوعا منفصلا من المخطوطات العربية. ويمكن أن نطلق مفهوم "الكتاب الجامع الديمقراطي المخطوطي"[1] بوصفه يجمع هذا النوع من المخطوطات بالإضافة إلى ما يشبهها من كتب المختارات الشعبية والكتب الفلكلورية القليلة التي تتكون حصريا من المدونات الفلكلورية.

ومن أكثر مجموعات مؤلفات الأدب الشعبي شيوعا وانتشارا وتحليلا - كتاب "ألف ليلة وليلة". وتاريخ هذا الكتاب معروف. ففي القرن التاسع في العراق غالبا، تمت ترجمة كتاب "ألف قصة" من الفارسية إلى العربية. وقد تضمن هذا الكتاب حكايات فارسية وهندية. وعلى مدى القرون التي تلت ذلك تم استكمال الكتاب بإضافة حكايات وقصص ونكات وقصص قصيرة. وبدأت هذه العملية في العراق ومن ثم في سوريا ومصر. ويتكون كتاب "ألف ليلة وليلة" (الذي ترجع أصوله إلى كتاب "ألف قصة") في الأساس من حكايات سحرية: عن الصياد والروح، عن قمر الزمان وبدر البدور، عن الملك بدر وجوهرة وغيرها. وقد صدر في العراق عدد من القصص والقصص القصيرة الغرامية التي ارتبطت باسم الخليفة هارون الرشيد، كما صدرت قصة مغامرات عن رحلات سندباد البحار وصدرت في سوريا رواية فروسية عن حياة عمر النعمان. وفي مصر تم استكمال "ألف ليلة وليلة" سواء بإضافة حكايات جديدة سحرية ومنها "علاء الدين والمصباح السحري" و"معروف الإسكافي"، أو حكايات الشطار مثل: "علي الزيبق ودليلة اللئيمة" التي يرتبط مضمونها بسيرة علي الزيبق.

---

(١) فؤاد حسنين علي. قصصنا الشعبية. القاهرة. ١٩٤٧. ص ص ١١١-١١٨.

كما كان الفضل لمصر في استكمال التحرير النهائي لكتاب "ألف ليلة وليلة" وهي النسخة الأكثر شهرة والتي صدرت في بولاق. وقد اكتمل تحرير الكتاب في العصر المملوكي (نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر). وهناك نسخ محررة أخرى تم توثيقها في إصدار كالكت الأول على يد المستعربين الألمان م. هابيخت وخ. فليشر. وفي بعض المخطوطات. وتمثل الإصدارات والمخطوطات التي تنقل فيها الحكايات في صيغة قريبة من الأصل الفلكلوري أهمية خاصة. (باستخدام اللهجة وبالحفاظ على الأسلوب الحي والسهل).

ويعد كتاب "ألف ليلة وليلة "الأكثر شهرة بين مؤلفات الأدب الشعبي العربي. إلا أن هذا لا يعني تجاهل دراسات الكتب الجامعة الأخرى لهذا النوع من المؤلفات. على العكس من ذلك، فأي دراسة لكتاب "ألف ليلة وليلة" غير ممكنة بدون الاسترشاد بالأعمال المشابهة، حيث تجد فيها نفس الحكايات والقصص والنكات الواردة في كتاب "ألف ليلة وليلة". وكما أشرنا سابقا، فإن تاريخ كتابة هذا الأثر الأدبي معروفة للجميع ولكن بشكل عام. ولكي نرسم تحديدا تاريخ هذا العمل يتوجب دراسة نص كل حكاية يضمها. ويعد دراسة النص في سياق الكتب الجامعة من أهم مبادئ علم النصوص.

ومن ناحية أخرى نرى في هذه المجموعات الأدبية حكايات وقصصا ونكات غابت عن كتاب "ألف ليلة وليلة". ويمثل كل نص بذاته أهمية خاصة. وعلى سبيل المثال، تحتفظ دارة المخطوطات بفرع ليننغراد التابع لمعهد الاستشراق الأكاديمي للعلوم بمجموعتين من السير الشعبية العربية، وأربع مجموعات من القصص القصيرة والقصص الشعبية. ويمكن ملاحظة كلمات أو عبارات من اللهجات المحلية في نصوص بعض المؤلفات المندرجة في المجموعات المذكورة.

وصدرت في تلك الفترة أيضا مجموعات خاصة من النكات حيث لا يشار إلى من قام بإعدادها. ويمكن أن تنسب هذه المجموعات إلى الأدب الشعبي. (على سبيل المثال: مجموعة نكات جحا).[1]

(١) أخبار جحا. دراسة وتحقيق عبد الستار أحمد فراج. مصر. ١٩٥٦.

ويرجع الفضل في بدء تدوين إصدارات ومخطوطات الأدب الشعبي العربي إلى ف. شوفين. وتبرز أهمية مواصلة هذا العمل مع الأخذ في الاعتبار الإصدارات والدراسات الحديثة.

مدونات الفلكلور العربي

تعد المدونة الفلكلورية عملية إعادة إنتاج للنص الفلكلوري، وتقوم بدرجة ما من الدقة بتسجيل سماته اللغوية والأسلوبية. وقد شهد القرن العشرون بالإضافة إلى المدونات الفلكلورية المكتوبة، ظهور المدونات الفونوغرافية والصوتية الأكثر دقة التي تحفظ الصوت والنغمة التي يتحدث بها الراوي أو المغني. فيما تسمح الصورة السينمائية وتسجيلات الفيديو بتسجيل الأداء كاملا. إلا أنه وقبل ظهور الوسائل التقنية الحديثة كانت الكتابة هي الطريقة الوحيدة للتدوين الفلكلوري.

متى ظهرت أول مدونات الفلكلور العربي إذا؟ تبدأ عملية دراسة الفلكلور دائما منذ لحظة التدوين. وتقدم مخطوطات الأمثال الشعبية[1] والمؤلفات التاريخية القديمة[2] تصورا لكيفية تدوين هواة ومحبي الأدب الشعبي العربي في القرون الوسطى للنصوص الفلكلورية. ونلحظ أن لغة هذه المخطوطات هي عربية فصحى وقليلا ما يتخللها بعض الألفاظ أو العبارات من لهجات قبلية أو مدنية. وإذا كانت اللغة المستخدمة في مؤلفات الأدب الشعبي تضم أحيانا عددا محددا من ألفاظ وعبارات اللهجات إلا أنها تميل أكثر إلى الفصحى. وهو ما يسمى باللغة العربية الوسطية أي التي

---

(١) ليبيديف ف. اللغة العربية في العصر المتأخر. موسكو. ١٩٧٧. ص ص ١٣-١٤٧.

(٢) كراتشكوفسكي أي. تصورات عامة حول تاريخ الأدب العربي// مؤلفات مختارة الجزء الثاني. ص ٥٦٩.

تجمع لهجات أهل المدن العربية[١] والتي تحوي في شكلها المكتوب سمات اللهجات بفضل فن الإملاء العربي التقليدي.

يقول العلامة الكبير في مجال اللغة العربية إ. كراتشكوفسكي: "سوف تجد المؤلفات الشعرية الشفهية التي تنتمي للفلكلور الشعبي للبلدان العربية والمدونة في القرنين التاسع عشر والعشرين، مكانا لها في الفصول المخصصة للأدب الحديث" في الكتاب القادم عن تاريخ الأدب العربي "حيث لم تصل إلينا المدونات الأكثر قدما".[٢]

إلا أنه وبعد عشرين عاما من إقرار كراتشكوفسكي عدم وجود مدونات قديمة للفلكلور العربي، حدث كشف علمي هام يسمح بدحض هذا الرأي القاطع. حيث اكتشف المستعرب وعالم الدراسات السامية الشاب ف. ليبيديف في الفترة من ١٩٦٢-١٩٦٥م مجموعة كاملة من مدونات الفلكلور العربي تعود إلى القرون الوسطى. وقد حفظت هذه المدونات بمكتبة سانبطرس بورج الحكومية العامة والتي تحمل اسم سالتيكوف شيدرين. وقد قام بهذا الكشف أثناء قيامه بدراسة علمية عن مجموعة مخطوطات س. فيركوفيتش.[٣]

وقد قضى أفرام صاموليفيتش فيركوفيتش (١٧٨٧ - ١٨٧٤م) قسطا كبيرا من حياته بمنطقة القرم وقام بتدريس بمعهد القرائم في اوباطوريا. كما عمل بمجال الحفريات

---

(١) بدأ تدوين النصوص الفلكلورية بمختلف اللغات في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. وقليل هو المعروف والمحفوظ من الحكايات الروسية الشعبية المبكرة (راجع: الحكايات الروسية في المدونات والإصدارات المبكرة (القرون من ١٦-١٨). لينينجراد. ١٩٧١.

(٢) ليبيديف ف. مدونات الفلكلور العربي في القرون الوسطى// ملخص أبحاث المؤتمر الاتحادي العام لعلماء السيميوطيكا في ذكرى الاحتفال بالأكاديمي ج. تسيريتيللي. تبليسي. ١٩٧٧. ص ص ٥٤-٥٦.

(٣) راجع: ستاركوفا ك. مخطوطات مجموعة فيركوفيتش في مكتبة سالتيكوف شيدرين الحكومية العامة // حولية. ١٩٧٣. موسكو. ١٩٧٩. ص ١٢٥.

الأثرية في منطقة القرم والقوقاز وجمع مجموعة كبيرة من المخطوطات. وقد قام ببيع جزء من هذه المجموعة إلى المكتبة العامة في عام ١٨٦٢ مقابل خمسة وعشرين ألف روبل فضي. وكان هذا مبلغا ذا قيمة كبيرة في تلك الفترة. ولعب المال واهتمام العلماء بمخطوطاته دورا كبيرا في تشجيع فيركوفيتش، الطاعن في السن آنذاك، على القيام برحلة إلى الشرق الأوسط بهدف جمع مخطوطات باللغات السامية. وفي خلال عام ونصف (من سبتمبر ١٨٦٣ إلى مارس ١٨٦٥م) من إقامته في فلسطين وسوريا ومصر نجح فيركوفيتش في جمع عدد كبير من المخطوطات باللغات العربية والعبرية القديمة. وكان كثير من هذه المخطوطات عربية مكتوبة بحروف عبرية. وقد عرف سكان الشرق الأوسط من اليهود وسكان منطقة القرائم منذ القدم بالكتابة والتدوين حيث كانت لغتهم الدارجة هي العربية. وقد قام فيركوفيتش بالإضافة إلى المخطوطات بجمع مقتطفات من النصوص. وقد وضع مختلف هذه المقتطفات ذات المضامين المختلفة في كتب أو كما كان يطلق عليها آنذاك سلال. وقد تطلب التعرف على هذه السلال أكثر من مائة عام كونها استغرقت الكثير من الجهد في الكتابة كما أنها تحتاج إلى متخصصين على قدر كبير من المهارة: حيث يجب الإلمام في ذات الوقت باللغات العربية والعبرية القديمة والقدرة على قراءة مختلف الخطوط باللغتين. ومن بين الذين تخصصوا في هذا العمل نذكر ف. بارتولد (١٨٦٩-١٩٣٠) وب. كوكوفتسوف (١٨٦١-١٩٤٢) وهما أكاديميان تخصصا في دراسة أعمال فيركوفيتش.

وقد اكتشف ف. ليبيديف خلاله دراسته لمجموعة فيركوفيتش ٢٢ مدونة من مدونات الفلكلور العربي جاءت في خمسين رقا. وتعود جميعها إلى الفترة من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر. وقد أشار إلى مدونة أكثر قدما اكتشفت على يد عالم الدراسات السامية الشهير أ. جاركاوي (١٨٣٩-١٩١٩م) وهي مدونة مجموعة الأمثال الشعبية المصرية لأهل المدن والتي تعود إلى القرن السادس عشر وقد كتبت بالحروف العبرية.

تقدم مجموعة فيركوفيتش أكثر من أربعين مؤلفا فلكلوريا مختلفة من حيث النوع: حكايات الغرائب حول غزال ذهبي وشمعدان ذهبي وحكاية حرب القطط والفئران والحكايات الحياتية عن ابنة التاجر وبنت السلطان والجنايني أبو الحسن وقصص عن الشجار بين قاهري وقروي وعن الرجل المقعد المعوق وعن الفتاة البيضاء والقمحية وأشعار عن جندي وكذا عدد من القصائد الغنائية.

وقد صدر حتى الآن حكايتان وأربع قصائد. (صدرت هذه الأعمال باللغة العربية مع الإشارة إلى السمات الإملائية والصوتية وأرفقت ترجمة هذه الأعمال إلى اللغة الروسية). ويجري العمل على اكتشاف مخطوطات مشابهة في دور المحفوظات الخارجية.

ويسمح لنا اكتشاف مدونات للفلكلور العربي من القرون الوسطى باللغة العبرية بإعادة تقييم الكثير من الآثار العربية القليلة التي تعود إلى العصور الوسطى، حيث جرت محاولات لنقل أكثر دقة للنصوص الفلكلورية. ومن هذه النصوص نذكر: قصيدة صفي الدين الحلي والغنية بالأمثال الشعبية البغدادية؛ "مقدمة ابن خلدون" والتي تحتوي على نماذج لقصائد الشعبية ومثل هذه القصائد وردت من قبل في الدراسات التي تناولت الشعر الشعبي. (حيث تمتزج القصائد الفلكلورية بتلك التي يكتبها المؤلف). ومن هذه النصوص أيضا نذكر معجم اللهجات المصرية لصاحبه يوسف المغربي حيث يحتوي على نصوص قصيرة ولكنها جد شيقة من حيث المضمون وتنوع أجناسها الأدبية بين الأمثال الشعبية والأشعار الشعبية والألغاز. ويجب النظر إلى كل هذه المادة بوصفها محاولة لإعادة إحياء النصوص الفلكلورية العربية المكتوبة بالأحرف العربية.

وقد شهد القرن الثامن عشر ظهور مجموعات خاصة من المدونات الفلكلورية. وقد اشتهر منها بعض مجموعات القصائد الشعبية التي تنتسب إلى تلك الفترة. وقد بقيت إلى يومنا هذا مجموعة تحتوي على أربعين حكاية باللهجة السورية وتم تدوينها وتسجيلها

عام ١٧٨٩م. وبالإضافة إلى هذا النوع من المجموعات الفلكلورية التي تحتوي مؤلفات من جنس أدبي واحد، كانت هناك أيضا مجموعات تحوي مؤلفات تنتمي لأجناس أدبية متنوعة. ومثال ذلك مجموعة المسيحي اللبناني يوسف بن بشار الطرابلسي والتي أصدرها عام ١٧٩٣م والتي تحتوي على ٩٥٨ مثلا شعبيا وست قصص قصيرة وأكثر من مائة موال شعبي. وتوجد هذه المجموعة حاليا في مكتبة جامعة مدينة أويسال بالسويد، كما توجد صورة منها بمكتبة مدينة سانبطرسبورج الحكومية العامة.

وقد شهدت فترة نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر بداية ظهور مدونات للأمثال الشعبية العربية والأغاني والحكايات. وقد قام بعملية التدوين علماء ورحالة ودبلوماسيون أوربيون. وقد كتب جزء منها أيضا بالأحرف العربية (مثال ذلك مدونات الحكايات العربية والأمثال التي كتبها القنصل الفرنسي في القاهرة اسيلين دي شيرويل) (١٧٧٢-١٨٢٢م) وتوجد هذه المجموعة حاليا بمكتبة باريس الوطنية وينطبق ذلك أيضا على المدونات التي ظهرت لاحقا على يد المستعربين الروس (أ. موخلينسكي وف. غيرغاس). فيما قام بعض محبي الفلكلور العربي بالكتابة بالأحرف اللاتينية. ومن هؤلاء على سبيل المثال نذكر الرحالة الألماني ف. زيتسين (١٧٦٧ - ١٨١١م) الذي قام أثناء إقامته في مصر وسوريا وفلسطين (١٨٠٤-١٨٠٩) بتدوين النصوص بلهجاتها. (أغاني وأمثال وحكايات وألغاز نصوص وقصائد لمؤلفين بلهجاتها ولغاتها الدارجة).

وقد بدأت إصدارات صغيرة الحجم لنصوص فلكلورية عربية في الظهور في الصحافة العلمية الأوربية في الأربعينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر. ومع حلول نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين صدرت السلسلة الأولى من كتب ومؤلفات المستعربين الأوربيين والتي تضمنت ما جمعوه من مواد فلكلورية شعبية مع ترجمتها إلى لغاتهم الأوربية (الفرنسية والألمانية والانجليزية). وقد شهد القرن العشرين مواصلة لهذه الجهود من قبل أجيال جديدة من المستعربين، فيما شهدت الفترة التي

تلت الحرب العالمية الثانية بداية ظهور إسهامات علماء من مختلف الدول العربية في جمع وتدوين الفلكلور العربي.

لقد صدر حتى الآن عدد كبير من المواد الفلكلورية والتي تشتمل على أجناس الأدب الشعبي العربي في مختلف الأقطار العربية. إلا أن كبر الحجم يمثل صعوبة بالنسبة للدراسين. فهناك حاجة ماسة إلى إعداد دليل ببليوغرافي يتضمن كافة إصدارات النصوص الفلكلورية العربية (سواء الكتب أو المقالات). ولذا يتوجب أن يكون هذا الدليل إصدارا دوليا وفي عدد من الأجزاء، على أن يتضمن كافة النصوص سواء التي تم نشرها أو التي لم تنشر مطلقا.

وتجدر الإشارة إلى اللوم الموجه إلى جودة بعض إصدارات النصوص الفلكلورية العربية الحديثة. حيث لا يتم توثيقها دائما (حيث لا تتم الإشارة إلى أماكن التدوين أو تقديم معلومات عن القاص أو المغني). ومازال الفولكلوريون العرب يقدمون الحكايات والأمثال وغيرها من النصوص ليس بلهجتها الأصلية بل بلغة عربية فصحى. ولم يتم بعد الاتفاق على طريقة الكتابة بالنطق اللاتيني والتي استخدمها المستعربون الأوربيون والأمريكان وآخرهم اليابانيون. إلا أنه يمكن التغلب بسهولة على هذه الصعوبات بشرط التعاون الوثيق بين المستعربين من كافة بلدان العالم.

٢- أجناس الفلكلور العربي

يرى عالم الفلكلور الشهير ف. بروب (١٨٩٥-١٩٧٠م) أن الجنس الفلكلوري- هو "تطابق المؤلفات التي يجمعها وحدة المنظومة الشعرية والهدف الحياتي وطريقة الأداء والنظام الموسيقي".

ومن بين أنجح أسس تصنيف الأجناس الفلكلورية ما اقترحه ل. جينين (١٩٢٣-١٩٨٢م) من رسم تخطيطي لتصنيف الفلكلور. وقد وضع في أساس هذا التصنيف طريقة النقل الشفهي للإبداع الشعبي (الغناء والقص والتمثيل أو

التشخيص والأقوال المأثورة)[١]. ويصنف ل. جينين الأجناس الفلكلورية على النحو التالي:

١- الأجناس الكلامية (الأمثال والتعابير السائدة والألغاز والتعاويذ).

٢- الأجناس الغنائية (الأغاني العاطفية والرثاء وأغاني الطقوس الدينية).

٣- الأجناس الخرافية أو الأسطورية (الحكايات والأساطير وقصص النقل الشفهي والخرافات والحكايات الواقعية والأكاذيب والنكات)؛

٤- أجناس التسلية المرئية: (التشخيص المسرحي الشعبي والدراما الشعبية).[٢]

وبعد دراسة النصوص الباقية والتي عكست المرحلة المبكرة من تطور الإبداع الشعبي الشعري العربي، يمكن التعرف على أغلب الأجناس الفلكلورية المذكورة أعلاه في الفلكلور العربي القديم، فيما يمكن التعرف على كل الأجناس الفلكلورية الكائنة في الأدب الشعبي العربي في القرون الوسطى. ويمنحنا الفلكلور الحديث عند الشعوب العربية صورة أكثر اكتمالا لقائمة الأجناس الفلكلورية.

الأجناس الكلامية

لقد احترم العرب منذ القدم الدقة والظرافة في الحديث. وتطرح مجموعات كل من المفضل الضبي وأبي عبيدة المفضل بن سلامة وحمزة الأصفهاني والزمخشري، تصورا عن آلاف الأمثال والتعابير السائدة ما قبل الإسلام. فلاريب أنه ينسب لهذه الفترة أمثال وتعابير من قبيل "أسوأ حظا من البسوس"[٣] و"ليس لي في ذلك لا ناقة ولا جمل"[٤] أي الأمثال والتعابير التي تعبر عن حياة البدو قبل الإسلام. وقد انقسمت

---

(١) بروب ف. التركيبة الفنية للفلكلور العربي // الفلكلور والواقع. موسكو. ١٩٧٦. ص ٤٦.

(٢) جينين ل. انعكاس الفلكلور في التصنيفات المكتبية والبيبليوغرافية. ملخص رسالة الدكتوراه في الآداب. لينينجراد. ١٩٧٩. ص ١٠.

(٣) الميداني. مجمع الأمثال. القاهرة. ١٩٥٥. الجزء الأول. ص ٣٧٤. العدد ٢٠٢٨ (فيما يلي: الميداني).

(٤) المفضل الضبي. أمثال العرب. القسطنطينية. ١٨٨٣. ص ٥٦ (فيما يلي: المفضل).

الأمثال والتعابير العربية القديمة إلى مجموعتين: شرقية (العراق والبحرين وعمان وحضرموت ونجد)، وغربية: (الحجاز واليمن)[١]. وقد جمعت الأمثال والتعابير العربية الشرقية في مجموعة المفضل الضبي[٢]. وتكمن قيمة هذه المجموعة كونها تحتوي على كثير من الأمثال والقصص التي يعود أصلها إلى قبيلة واحدة وهي قبيلة تميم[٣]. حيث ظهر في هذه القبيلة تحديدا مثلان حظيا فيما بعد بشهرة وانتشار واسع: "الحديث ذو شجون" و"سبق السيف العزل"[٤]. كما جمع الميداني في كتابه الجامع بين الأمثال والتعابير العربية الشرقية والغربية. وإذا كانت الأمثال والتعابير الشرقية بدوية كلها فإن الأمثال والتعابير العربية الغربية القديمة تحوي أمثالا من المدينة والتي استخدمها سكان مكة والمدينة. ونورد هنا مثالا لمثل مكي: "بينهم عطر منشم"[٥]، وكذا التعبير المكي: "أشأم من منشم"[٦]، ويقال أيضا: "أشأم من عطر منشم."[٧]

ويقوم الميداني بالتعليق على هذه التعابير والتراكيب اللغوية حيث يقول إن منشم هو اسم إحدى النساء من سكان مكة وكانت تتاجر في العطور، حيث كان محاربو قبيلتي خزاعة وجرهم يتوجهون إليها قبل المعارك ليبتاعوا منها. وكانوا يعتقدون أن عطورها تقتل الأعداء إذا تم دهن أجسامهم بها وبفضلها يحققون الانتصارات. وكان هناك تعبير سائد وشائع في المدينة المنورة ألا وهو: "أشأم من الزماخ" حيث يذكر الميداني أن الزماخ هو طائر ضخم أصاب الحدائق في المدينة بالجدب.

---

(١) عبد المجيد العبيدين. الأمثال في العصر العربي القديم. القاهرة. ١٩٥٦. ص ١٧ (فيما يلي: العبيدين).

(٢) نفس المرجع. ص ٣٧.

(٣) نفس المرجع. ص ٥٥، ٥٤، ٥٢.

(٤) المفضل. ص ٤.

(٥) الميداني. الجزء الأول. ص ٩٣. العدد ٤٤٨

(٦) نفس المرجع. ص ٣٨١. العدد. ٢٠٣٨ المفضل. ص ٤.

(٧) الميداني. ص ٣٩٠.

وقد اتسع النطاق الجغرافي في انتشار الفلكلور العربي في القرون الوسطى ليشمل الأمثال الشعبية أيضا. حيث ظهرت الكثير من الأمثال الجديدة والتي تنتمي في أغلبها إلى المدن. وقد تمت ترجمة أمثال شعوب إيران وآسيا الوسطى إلى اللغة العربية[١]، وكذا أمثال شعوب شمال أفريقيا وغيرها من الأقطار والمناطق التي فتحها العرب. وبرز مصطلح خاص للدلالة على هذه الأمثال تحديدا وهو "الأمثال المولدة" أي الأمثال التي لها أصول مختلطة والمقتبسة. وأحيانا تستخدم صيغة الجمع في حالة الحديث عن الكائنات الحية واشتقاقا من نفس الكلمة "المولدون" (تعتبر كلمة" المولد" هي أصل كلمة "مولات" والتي تعني "ذوي الدماء المختلطة "وهو مصطلح انتشر في اللغات الأوربية بما فيها اللغة الروسية). وقد قام الميداني على سبيل المثال بتضمين مجموعته ٩٠٨ مثل وتعبير سائد تندرج تحت باب "المولدون" (حيث وضعها في نهاية كل حرف أبجدي وبدون ترقيم خلافا للأمثال التقليدية والتي بلغ عددها ٤٧٦٥ مثلا). ومن نماذج الأمثال المولدة الواردة في مجموعة الميداني نذكر: "خذ اللص قبل أن يأخذك"[٢]، و"السنور الصياح لا يعتد شيئا"[٣]، و"ليس بصياح الغراب يجي المطر"[٤]، و"من أكل على المائدتين اختنق"[٥]، و"من عمل دائما أكل نائما"، و"وقع اللص على اللص".

ومع مرور الزمن أخذت الفروق تتضح بين الأمثال الشعبية الخاصة بكل بلد عربي على حدة. وقد بقيت الكثير من المصادر والمراجع التي تورد أمثالا وتعابير سائدة من العراق (مدينة بغداد بشكل أساسي) ومصر. ونورد هنا بعض نماذج الأمثال والتعابير البغدادية التي تعود إلى القرن الحادي عشر (وفقا لكتاب الطلقاني): "أعمى

(١) نفس المرجع. ص ٢٦٢.

(٢) نفس المرجع. ص ٢٥٧.

(٣) نفس المرجع. ص ٣٢٨.

(٤) نفس المرجع. ص ٣٣١.

(٥) نفس المرجع. ص ٣٨٢.

يقود بصيرا" (عن الجاهل الذي يعلم إنسانا متعلما)[١]، و"القصاب لا يهوله كثرة الغنم"[٢] ؛ و"تيس في سفينة "(عند الحديث عن شخص أحمق وعديم التفكير). ومن نماذج الأمثال المصرية التي تعود إلى القرن الرابع عشر حسب نفس الكتاب نذكر: "سلاح حاضر وعقل غائب!" ؛ "شجرة تستظل تحتها لا توافق على قطفها" ؛ و"ضاع عقله في طوله"(قارن بالمثل الروسي "كبر إلا أنه لم يستطع تحمل عقله)".

ومن الأمثال السورية والتي تعود للقرن السابع عشر نذكر: "العمال يطعموا البطال" ؛ و" الفلاح جوعان والخياط عريان والإسكافي حافي والطباخ لا يشبع مرقه".

ويعكس المثلان الأخيران بوضوح التوجه الاجتماعي الذي مثل صبغة وسمة عامة للأدب الشعبي في فترة القرون الوسطى. وتزداد قوة هذا التوجه في الفلكلور العربي الحديث حيث تتوفر أمثال وتعابير كل بلد عربي على عدد كبير منها بصبغة اجتماعية من جانب وصبغة ممجدة للعمل والكادحين والأبطال الشعبيين من جانب آخر. وحتى يومنا هذا نجد في الكثير من البلدان العربية صيغا مختلفة للتعبير "صانع أحذية بدون حذاء" والذي يشبه التعبير المقتبس عالية من الأمثال الشعبية السورية في القرن السابع عشر. وفي سوريا القرن التاسع عشر شاع مثل شعبي يقول: "الإسكافي حافي والخياط عريان" فيما أهل مكة في نفس الفترة كانوا يستخدمون التعبير السائد: "الإسكافي حافي" ويستحضرنا هنا أيضا المثل الشعبي من مدينة عدن اليمنية والذي يقول: "بيت الأسد ما بيخلى من العظام" كما تستحضرنا الأمثال المصرية: "الحبس حبس ولو بستان" ؛ و"سبع صنايع والبخت ضايع"، والأمثال العراقية: "الفقير راكب على جمل وعضه الكلب" ؛ و"أعطي العيش لخبازه" (راجع المثل الروسي المشابه "الحرفة تخضع لمعلمها") ؛ و"هله هله لقاتل لشمان" (عن الشخص الذي يقوم بعمل بطولي: في البداية كان المثل يشير إلى شخص

---

(١) الطلقاني. رساله في الأمثال البغدادية.

(٢) نفس المرجع. ص ٧.

الشيخ داري وهو مناضل شهير في الحركة الوطنية التحررية العراقية والذي قام بقتل المحافظ الإنجليزي ليتشمان أثناء انتفاضة ١٩٢٠ م).

ويلاحظ بوضوح الدور التربوي للأمثال والتعابير السائدة. وقد شهدت فترة القرون الوسطى اندماجها في الأدب وامتزاجها به حتى أصبحت جزءا لا يتجزأ من التعليم اللغوي العام ؛ حتى أنه من النادر أن نجد عملا أدبيا أو تعليميا يخلو من الأمثال والتعابير الشائعة والسائدة. وحتى في العصر الحديث يظهر في الأمثال وبوضوح شديد توجهها الاجتماعي وصبغتها المحلية، رغم أن أغلبها يستخدم في معظم أو في كل البلدان العربية. ويعبر المثل القائل: "ألسنة الخلق أقلام الحق "بجلاء عن دور الأمثال والتعابير الهام في حياة الشعوب.

ولم تحظ الألغاز بذكر فيما تبقى لنا من نصوص عربية تعود إلى فترة ما قبل الإسلام، فيما شهدت فترة القرون الوسطى استخدام مصطلح "لغز" في الآثار المكتوبة وعنى بها الأشعار التي تحوي معنى مخفيا يحتاج إلى فك محتواه. (عادة ما عرف شعراء معينون باستخدامها). ومن أمثلة الألغاز نذكر ما جاء منها في كتب الأبشيهي ويوسف المغربي. إن العثور على ألغاز القرون الوسطى سيتطلب جهدا كبيرا. كما أن ما كتب عن الألغاز العربية الحديثة مازال قليلا. ويكاد لا يوجد سوى عمل واحد متخصص في هذا المجال الفلكلوري وهو عبارة عن رسالة دكتوراه للمستعرب الألماني أ. روف والتي نوقشت عام ١٩٣٣ م بجامعة تيوبنجن. وقامت رسالة أ. روف في الأساس على دراسة مدونات الألغاز التي جمعها بنفسه في فلسطين عام ١٩٣١م. ونورد هنا بعضا من نماذج ألغاز روف: "isi ilo sot qaui uma bitshufas" – "صوته قوي أما هو فغير مرئي" (الرعد) ؛ "Sech birga' sbejj" — "العجوز يصبح صبيا" (القمر) ؛ " But-tul qasir ubihmil 'antar wiz-sir "—" "صغير الحجم ولكنه يستطيع حمل عنتره والزير" (الحذاء) ؛ "Maskin 'arian biksi kuli bani J'antan" – "الفقير العاري الذي يمكنه أن يكسي كافة زملائه" (الإبرة) ونلحظ أنه في الكثير من الألغاز يتم إضفاء صفات بشرية على الجماد.

وقد حظيت الرقية أو التعويذة بنصيب أقل من الدراسة وهي التي تعود إلى قديم الزمان. ويمكننا أن نجد أصداء للتعاويذ ما قبل الإسلام في القرآن الكريم وخاصة في السورتين الأخيرتين الفلق والناس. ويرى كراتشكوفسكي أن سورة الفلق تمثل "شكلا جديدا من الرقية ما قبل الإسلام".[1]

وقد حملت هاتان السورتان اسما خاصا بهما معا وهو "المعوذتان" وعادة ما يستخدمان في الرقية الإسلامية بالإضافة لبعض السور التي تستخدم عادة في الصلاة وهي الفاتحة والفلق وغيرها. وقد ورد عدد قليل من التعاويذ العربية القديمة والرقيا في كتاب أ. ميتفوخ. ونذكر من بين تعاويذ القرون الوسطى التعويذة والرقية المستخدمة لعلاج وشفاء البقرة أو الناقة التي لا تقبل رضيعها ولا تلد.

الأجناس الغنائية

تتمتع الأغنية دائما بمكانة راقية ومحترمة في الأدب الشعبي لأي أمة. ويتميز الفلكلور الغنائي العربي بكونه يلتزم بقواعد مميزة لهذا النوع من الإبداع الشعبي.

وعلى الرغم من ارتباط جزء كبير من الشعر قبل الإسلام بأسماء شعراء بعينهم إلا أنه يمكن أن نعدد كما كبيرا من القصائد الشعبية العربية القديمة والتي هي في حقيقتها أغنيات.

ويضم الفلكلور العربي القديم الأجناس الآتية :

١ – أغاني الأفراح ؛

٢ – أغاني الأطفال ؛

٣ – أغاني الآبار ؛

٤ – أغاني البناء ؛

٥ – أغاني رعاة الإبل (الهدا) ؛

---

(١) القرآن الكريم. ترجمة كراتشكوفسكي. المقدمة والتعليقات. موسكو. الطبعة الثانية. ص ٦٥٧.

٦- أناشيد الحروب؛

٧- النواح.[1]

كثير من تلك الأغنيات كانت تنظم باستخدام بحر الرجز الشعري البسيط ولذا أطلق عليها رجوز.

ونورد هنا بعض الأمثلة من الأغاني الشعبية العربية القديمة. حيث احتلت أغاني الأعراس مكانة هامة بين أغاني الأفراح. ويمكن اعتبار أغنية العرس التي نسبت إلى فاطمة ابنة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) شكلا من أشكال الفلكلور حيث صيغت بروح الغنية الشعبية.

أتيناكم، أتيناكم فحيونا نحييكم

ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم

ويمكن تقسيم أغاني الأطفال إلى تلك التي صاغها الأطفال بأنفسهم وكذا "المرقصات" كما كان يطلق عليها في القرون الوسطى حيث كانت ترغم على الرقص. وقد جمع المستعرب المجري إ. جولدتسير ما كتب عن أغاني "المرقصات" العربية القديمة. وفي عام ١٩٦٨م صدرت مجموعة خاصة بتلك الأغاني (جمعت ما يقارب ٤٠٠ نص). ولا يستطيع الزمن أن يغير من أغاني "المرقصات" وذلك يعود إلى مضامينها ولذا يعتبر هذا الجنس من الأجناس الفلكلورية المحافظة. وكنموذج لهذه الأغاني نذكر أغنية دونت في نهاية القرن التاسع عشر على يد المستعرب الألماني ج. دالمان حيث سمعها من فلاحة سورية من قرية الحصن.

يا حبيب القلب

لا تنام الدرب

يدبحوك العرب

يحسبونك كلب

---

(١) حسين نصار. الشعر الشعبي العربي. القاهرة. ١٩٦٢. ص ٣٨ (فيما بعد: نصار).

وتعود النماذج القديمة الباقية من أغاني الآبار إلى عصور متناهية القدم. ولا نحتاج إلى الحديث عن أهمية البئر بالنسبة لسكان الصحراء. حيث كان حفر البئر يمثل حدثا كبيرا في حياة البدو. وأثناء الحفر كان البدو ينشدون الأغاني المخصصة لهذا الحدث والتي يصيغونها بأنفسهم. فلنقرأ معا كيف كان بدو قبيلة عاد يغنون للبئر:

نحن حفرنا بئرنا الحفير

بحرا يجيش ماؤه غزيرا

وتتسم الأغاني الشعبية العربية القديمة التي بقيت حتى اليوم بقلة العدد، كما أننا لا نجد بينها أغاني عاطفية أو ملحمية أو هجائية. حيث لم تظهر هذه الأغنيات سوى في القرون الوسطى.

ويتسم الفلكلور الشعري العربي في القرون الوسطى بتنوع الأشكال الشعرية. وينعكس جزء كبير منه في الموشحات خلافا لفترة ما قبل الإسلام والذي غلبت عليه القافية الواحدة.

وتحدد كتب الشعر العربية التي ترجع إلى القرنين الرابع عشر والخامس عشر الأشكال الشعرية على النحو التالي:

١- الشعر العادي والذي يضم القصائد والمقتطفات الشعرية؛

٢- الموشحات؛

٣- الزجل؛

٤- دوبيت (بيتان من الشعر)؛

٥- الموال؛

٦- كما؛

٧- كان وكان.

ويتميز كل من الشعر العادي والموشحات باستخدام اللغة الفصحى فيما تستخدم الأشكال الخمس الأخرى اللهجات الدارجة.

ومن بين أشكال الإبداع الغنائي العربي يعتبر الزجل والموال من أكثر الأشكال الشعرية الأكثر انتشارا في القرون الوسطى والعصر الحديث.

يتشابه الزجل مع الموشح في بنية الأبيات ويكمن الاختلاف بين الموشح والزجل في اللغة بشكل أساسي: حيث يلتزم الموشح باللغة الفصحى أما الزجل فيكتب باللهجة الدارجة. (سواء كان فلكلوريا أو من تأليف الشاعر). والبيت في الزجل إما مربع أو مخمس حيث الحرف الواحد يعني قافية واحدة.

ومع حلول القرن الثاني عشر كان الزجل قد تغلغل في أدب المؤلف (استخدم ابن قزمان الأزجال بشكل واسع في الأندلس) وهذا يعنى أنها كانت موجودة من قبل إلا أنه لم تصلنا النماذج الأقدم منها. وقد ورد في "مقدمة ابن خلدون"[١] الأزجال الأقدم الباقية مع الإشارة أحيانا إلى المؤلف. ومن نماذج الأزجال كبيرة الحجم في القرون الوسطى "وصف العسكري الصعلوك" وقصيدة حول شجار قاهري مع قروي. ومن المؤكد أن كلتا القصيدتين كتبا في مصر قبل حلول القرن السابع عشر.

ونورد هنا مثالا للزجل اللبناني المعاصر. وهو يمثل في نفس الوقت نموذجا لأغنية العرس العربية الحديثة:

يا بنتي ماجابوكي عرب
أنت فجر وسطك طرب
يا بنتي ما جابوكي اخوان
ولا جابك تركي رطان
مسمح وين تيجي للدان
يجري وكرشته تلحاب[٢]

---

(١) *rolegomenes L'*Ebn Khaldoun Texte arabe publ. par M. Quatremeve / Notices et exsraits... t. XVIII. Paris, 1858. p. 411–434.

(٢) عبد السلام إبراهيم قدير بك . أغنيات من بلادنا. الطبعة الرابعة. طرابلس. ١٩٨٥. ص ص ٢٧٣–٢٧٤.

وتتميز الأزجال بتنوعها من حيث المضمون: فهناك الأزجال العاطفية أو الغنائية وهناك الهجائية وهناك الملحمية، كما يمكن أن تنسب إلى الشعر الطقسي. كما تتنوع مضامين الموال أيضا حيث تحتوي على البنية ذات القافية الواحدة والميزة للشعر العربي التقليدي مع تقسيمها إلى أبيات (وعادة ما تأتي القافية الواحدة في كل بيت على حدة) كما تم استخدام اللهجات أيضا. وأحيانا يبقى السطر الواحد دون قافية في الرباعيات والخماسيات الشعرية (مثلما يحدث في الرباعيات الفارسية الطاجكية).

وترتبط التقاليد العربية ظهور "المواليه" بوصفه شكلا شعريا غنائيا بدولة العراق وتنسب ظهور هذا الفن وهذا المصطلح إلى الفترة العباسية. ويرى الكثير من الكتاب أن المواليه التي ظهرت في الفترة المبكرة كانت عبارة عن رثاء للوزير جعفر البرمكي والذي أعدمه هارون الرشيد عام ٨٠٣م. حيث نجد في كل بيت من الأبيات تكرارا للترجيع الشعري "يا مواليا"[١]. وهناك تفسير آخر يقول إن هارون الرشيد وبسبب خوفه من الموت قد منع رثاء الوزير المنكل به شعرا إلا أن الشعراء الأذكياء قد تمكنوا من إيجاد مخرج من هذا الموقف وطريقة لتخليد ذكرى الوزير وهم الذين حافظوا على احترامهم وتبجيلهم له. وهنا تختلف المصادر فيما بينها من جديد. فهناك من يفسر مصطلح "مواليا" على المعنى الأول "يا مواليا" إلا أنهم يتحدثون عن بعض المؤلفين والقصائد التي تستخدم نفس الترجيع الشعري "يا مواليه" حيث يقصد من المولى هنا الوزير جعفر البرمكي الأمر الذي جنبهم ذكر اسمه.[٢] ويرى البعض الآخر أن بعض الشعراء وخاصة شعراء المواليه والذين هم

(١) رضا محسن حمود. الفنون الشعرية غير المعربة. ١. المواويل. بغداد. ١٩٧٦. ص ص ٢٤. ٤٠-٤١.

(٢) نفس المرجع. ص ص ٢٥-٢٦.

في الأصل أسرى تم تحريرهم أو أنهم ليسوا من أصل عربي خالص - قاموا برثاء جعفر باللغة الدارجة أو اللهجات الدارجة، ولم تكن الأشعار المكتوبة بلغة غير الفصحى تعد شعرا في هذه الفترة، وهكذا توفرت إمكانية الالتفاف على قرار الحظر الذي فرضه الخليفة[١]. وهناك بعض الكتاب (ومنهم صفي الدين الحلي) يعتقدون أن شكل المواليه قد ظهر أولا في مدينة البصرة العراقية التي أسست عام ٧٠١ م. وكان البناءون العرب يغنون أثناء تشييد المدينة حيث استخدموا ترجيع "يا مواليه"[٢] أثناء غنائهم. ومن الصعب تحديد التفسير الأكثر مصداقية. إلا أنه وعلى كل الأحوال يمكن القول إن هذا الشكل الشعري يعود إلى القرن التاسع على الأقل. وتعد النماذج الأقدم من المواويل هي أقدم ما وصل إلينا من مدونات الشعر باللهجات العربية.[٣] (اللهجة العراقية في هذه الحالة). وقد شهدت الفترة المتأخرة من القرون الوسطى في مصر اكتساب هذا المصطلح شكلا صوتيا مميزا حيث تحولت التسمية إلى "موال".

نماذج من المواويل

موال هجائي ساخر يعود للفترة المتأخرة من القرون الوسطى في سوريا[٤]

عندي مره لفلوسي دوم نعاره
تقعد تقضم شبه الكلب عقياره
بثياب مبرود أبرد من حوا فاره
حوله وعرجه وقضومي ومن غاره

---

(١) نفس المرجع. ص ٢٦.

(٢) نفس المرجع. ص ٣٩.

(٣) نفس المرجع. ص ٢٦.

(٤) نفس المرجع. ص ٢٨٠.

ونموذج آخر لموال مصري عاطفي يعود للقرن التاسع عشر[١]

عيونك السود هما إللى سبب يسري
وشمسي تري جمالك والقمر يسري
كيف العمل والمراد يا حلو في يسري
قلبي يحبك واسأل مهجتك تنبك
ونبل عينيك جوا مهجتي يسري

الفنون الحكائية

شاعت الحكايات عند العرب منذ القدم، ويمكن أن نلحظ وجود بقايا أو إعادة تناول للحكايات العربية مضمنة في الكثير من المصادر العربية القديمة. وبشكل خاص نجد بعض التعليقات التي يقدمها الميداني على الأمثال الشعبية تحوي إعادة لحكايات عن الحيوانات تعود لعصر ما قبل الإسلام. وعلى سبيل المثال نجد المثل "أكثر جوعا من كلب الحومال"[٢] مصحوبا بالتعليق التالي: "الحومال هي المرأة البدوية التي جوعت كلبتها رغم أنه يحرسها. حيث قامت بربطها طوال الليل وفي الصباح أطلقتها قائلة: "ابحثي لنفسك عن طعام فليس لدي طعام لك" واستمرت على ذلك فترة طويلة وفي النهاية أكل الكلب ذيله من الجوع!". وتظهر عناصر الحكايات السحرية كثيرا في الأجناس القصصية الأخرى مثل الأساطير والقصص الخرافية. وتدلل الباحثة ب. شيدفير على هذه الحقيقة مستعينة بأمثلة للحكايات الخرافية عن بعض شعراء ما قبل الإسلام.[٣]

---

(١) فرولوفا أولجا بوريسفنا. مخطوطة "المواويل" في مكتبة كلية الاستشراق //حولية. ١٩٧٤. موسكو. ١٩٨١. ص ص ١١٩-١٢٠ (النص) ١٢٧ (الترجمة).

(٢) الميداني. ص ١٨٦. رقم ٩٩١.

(٣) شيدفار ب. منظومة شخصيات الأدب الكلاسيكي العربي. موسكو. ١٩٧٤. ص ٤٦.

وهناك عدد كبير من الحكايات التي تعود إلى فترة القرون الوسطى، حيث لم يتوقف الأمر فقط على كتاب "ألف ليلة وليلة" الشهير. والثابت أن هناك ثلاث مجموعات من الحكايات في تلك الفترة: حكايات الحيوانات والحكايات عن السحر والحكايات الحياتية. وتجسدت حكايات النوع الأول بشكل محدود في كتاب "ألف ليلة وليلة" إلا أنها الأكثر شهرة نظرا لتناولها بالبحث في عدد كثير من المصادر. وقد وردت بعض الحكايات والقصص الخرافية عن الحيوانات في بحث خاص للعالم ك. بروكيلمان. وبفضل الأبحاث الحديثة تمكن العلماء من توسيع قائمة حكايات الحيوانات العربية في القرون الوسطى. وقد قام ف. ليبيديف على وجه الخصوص باكتشاف حكاية يعود تدوينها إلى الفترة من القرن الرابع عشر إلى القرن السابع عشر وهي حكاية الحرب بين الطيور والوحوش والتي لم تكن معروفة على الساحة العربية قبل اكتشافها. وقد كان ليبيدف يقوم بإعدادها للنشر.

وقد وردت قصص السحر بشكل مكثف في كتاب "ألف ليلة وليلة" ومنها على سبيل المثال الحكايات ذات الأصول الهندية والفارسية (عن الصياد والروح؛ عن قمر الزمان وبدر البدور؛ عن سيف الملوك وبديعة الجمال). وهناك الحكايات المصرية عن معروف الإسكافي وعن علاء الدين والمصباح السحري. وفضلا عن حكايات "ألف ليلة وليلة" التي تم تناولها وصياغتها أدبيا، يستطيع الباحثون الآن الحصول على حكايات تم تدوينها في القرن السابع عشر باللهجة المصرية: عن الغزال الذهبي؛ وعن أبي الحسن الجنايني.

وتعود الحكايات الحياتية العربية في القرون الوسطى والتي بقيت إلى يومنا، في أصلها إلى مصر. ومن النماذج النمطية لهذا النوع من الحكايات نذكر حكاية وردت في كتاب "ألف ليلة وليلة" عن علاء الدين أبو الشمات. وترتبط هذه الحكاية بروايات الاحتيال والخديعة عن علي الزيبق وأحمد الدنف. وهناك نصوص تنتمي لهذا الجنس الأدبي لم تندرج في كتاب "ألف ليلة وليلة" نذكر منها حكاية ابنة التاجر التي اشتهرت

في الماضي وفقا لما جاء في مدونات القرن التاسع عشر. وقد تم اكتشاف أول مدونة لهذه الحكاية في القرن السابع عشر.

وتتميز حكايات العصر الحديث في أغلبها مقارنة بحكايات القرون الوسطى كونها تحمل عبقا محليا: ففي كل حكاية تقريبا نجد أشياء واقعية مميزة لدولة بعينها أو بأخرى حيث كتبت الحكاية. كما نستشعر فيها بوضوح سمات الحقبة الزمنية والإنجازات التقنية: يستطيع أبطال الحكايات التنقل ليس فقط سيرا على الأقدام بل وعلى ظهر الخيول أو الإبل لكن ليس بالسيارة. و يمكنهم التنقل بالبحر عبر السفن، يقرؤون ليس الكتب والخطابات فقط بل والصحف أيضا. وتتسم بعض الحكايات بالتوجه المعادي للكنيسة: ففي سوريا نهاية القرن التاسع عشر تم تدوين حكايتين هجائيتين تصور إحداهما قاضيا ومفتيا قليل الحظ في الحب، فيما تصور الحكاية الثانية مطرانا وقديسا وشماسا. كان الأمر ليبدو طبيعيا إذا كانت الحكايات التي تسخر من رجال الدين المسلمين قد كتبت على يد مسيحيين، والحكايات التي تفضح حياة الباباوات المسيحيين قد كتبت على يد مسلمين. إلا أن ما حدث أن القصاصين كانوا يهجون دياناتهم الخاصة. وهذا ليس المثل الوحيد. فهناك الحكاية العراقية "القاضي والطباخ" يحصل القاضي المرتشي عنوة من الطباخ على ديك رومي مطبوخ، وفي معرض تبريره لتصرفاته يقتبس آيات من القرآن الكريم[1]؛ وفي المملكة العربية السعودية، مهد وحصن الإسلام، تشيع حكاية عن إمام يحاول إغواء امرأة متزوجة باستخدام عقار ملعون ويقوم ابن المرأة بمحاولة لإنقاذ الأم حيث يسكب على جلد الماعز هذا العقار ويطير جلد الماعز إلى المسجد ويعيق الإمام عن استكمال الصلاة ويضطر الإمام إلى الهرب من الفضيحة.[2] ويمكن أيضا ملاحظة التفاعل المتبادل بين مختلف أنماط الحكايات: حيث نلحظ ملامح أحد الأنماط متغلغلة في الآخر

(١) أحمد الصوفي. حكايات الموصل الشعبية. بغداد. ١٩٦٢. ص ص ١٤٥-١٥٥.

(٢) عبدالكريم الجهيمان. الأساطير الشعبية من قلب جزيرة العرب. بيروت. ١٩٦٩. الجزء الأول. ص ص ٢٣٤-٢٣٥.

وبالعكس. فنرى مثلا في الحكاية العربية عن الثعلب الضبع أن القاص يضيف إلى ملحمته الشعبية عن الحيوانات موضوعا حياتيا عن بعث وهمي وخيالي للموتى، حيث تقوم جدة الثعلب بكسر رقبتها إلا أن الثعلب يستمر في تصويرها على أنها لم تمت ومستمرة في الحياة.(١)

ومن المهم هنا أن نتحدث قليلا عن حكايات عرب آسيا الوسطى. حيث يلاحظ إ. فينيكوف أن "الملامح العربية"، والتي يمكن تحديدها بسهولة، ليست منتشرة على نطاق واسع في هذه الحكايات. فيما نجد في أغلب هذه الحكايات الملامح اللغوية التركية والإيرانية المنتشرة لدى شعوب الشرق. وتمثل الحكايات التي يعود أصلها إلى نماذج شهيرة من الملاحم الشعبية في آسيا الوسطى مجموعة خاصة. حيث تتسم هذه الحكايات بالأهمية كونها تسمح لنا بالحكم على الشكل الأول من هذه المؤلفات الملحمية ووجود العنصر الشعبي متأصلا فيها. ومن نماذج هذه الحكايات "أحمد ويوسف" و"غور أوغلي" وغيرهما.

وإذا كانت الحكاية تراهن على الخيال وينظر إليها المتلقي على أنها قصة خيالية (من سمات الحكايات العبارة الافتتاحية "كان ياما كان")، فإن الأجناس الحكائية أو القصصية الأخرى تراهن على الحقيقة والمصداقية. ويستثنى من ذلك جنس أدبي صغير يسمى - الأكاذيب. ويتبدل مع مرور الزمن مفهوم المصداقية؛ ولذا فإن التصنيف الحديث للأجناس الحكائية مختلف. وللتعبير عن الأجناس الحكائية استخدم الكتاب العرب في القرون الوسطى المصطلحات التالية: "الخبر" و"الحديث" و"الحكاية" و"الخرافة" والسمر" و"القصص بفتح القاف، القصص بكسر القاف، القصة". ومنذ القرن التاسع على أقصى تقدير استخدم مصطلح "خبر" للتعبير عن القصة الشفهية الشعرية القصيرة والتي تدور حول حدث هام أو شخص مشهور. وعادة ما يقع هذا الحدث قبل وقت قصير من سرد الحكاية.

---

(١) نفس المرجع. ص ص ١٦٥-١٧٦.

أما مصطلحا "حديث" و"قصص بفتح القاف" (فيما بعد قصص بكسر القاف ومفردها قصة) فقد تم استخدامهما عند القص عن الأحداث القديمة وقد بدأ استخدام هذه الألفاظ في القرآن الكريم. وتعنى كلمة "سمر" (حكاية مسائية أو ليلية) فيما انتشر مصطلح "حكاية" في الفترة من القرن العاشر إلى القرن الحادي عشر وأصبح يعنى "القصة القصيرة بشكل عام" وفيما بعد أصبح يعنى – الحكاية. وقد استخدم مصطلح "خرافة" في البداية بمعنى "الحكاية بشكل عام" ومن ثم عنى به "الحكاية السحرية".

وهكذا يتضح بجلاء عدم دقة المصطلحات العربية في القرون الوسطى وعدم تطابق هذه المصطلحات مع مصطلحات العلم الحديث. وهكذا يمكن القول إن مصطلحي "خبر" و"حديث" يمكن أن يعبرا عن الأسطورة والخرافة فيما "الحكاية" تعنى الحكاية والنكتة أما مصطلح "خرافة" فهو الوحيد الذي يرتبط بقوة بالحكايات. وفي الواقع أحيانا تطلق لفظة "خرافة" على الأكذوبة إلا أن الأكذوبة هي فن أدبي يرتبط بشكل وثيق بالحكاية الشعبية ولذا وفي حالتنا هذه لا يمكننا أن نوجه اللوم لكتاب القرون الوسطى على عدم الدقة في استخدام المصطلحات.

غير أنه لا يمكننا أن نتهم علماء القرون الوسطى بعدم فهم الحدود الفاصلة بين الأسطورة والخرافة أو قصة النقل الشفهي. فالأسطورة هي قصة تعود للزمن القديم وتدور حول أحداث لم تقع في الواقع وعن أشخاص وأشياء ليس لهم وجود في الحياة. إلا أنها فهمت في تلك الفترة التي شهدت كتابتها وانتشارها على أنها تتضمن أشخاصا وأشياء حقيقية وواقعية. ولذا فمن السهل أن نتفهم اختلاف طبيعة تقبل وتلقي الأساطير في الزمن القديم وفي القرون الوسطى. والدليل على ذلك أن هناك مصطلحا خاصا في القرآن الكريم لهذا النوع من الحكايات ألا وهو مصطلح "أساطير" الذي ورد تسع مرات ككلمة في تعبير "أساطير الأولين" في السور التالية: (سورة "الأنعام" الآية ٢٥، سورة "الأنفال" الآية ٣١، سورة "النحل" الآية ٢٤، سورة "المؤمنون" الآية ٨٣، سورة "الفرقان الآية ٥، سورة "النمل" الآية ٧٠، سورة "الاحقاف" الآية ١٦، سورة "القلم" الآية ١٥، سورة "المزمل" الآية ١٣).

ومع مرور الزمن نما وازداد عدد الأخبار التي جاءت على لسان مستمعي الأساطير في البداية ثم القراء لاحقا. فعلى سبيل المثال شكك المسعودي في مصداقية قصة إرم، فيما خصص العالم اليمني الشهير الحمداني (أحد المعاصرين للمسعودي) الجزء السابع كاملا من كتابة الكبير "الإكليل" للحديث عن "الأخبار الباطلة والحكايات المستحيلة" وللأسف لم يتم حتى الآن العثور على هذا الجزء.

وهناك الكثير من النماذج والأمثلة للأساطير العربية القديمة وفي القرون الوسطى. وقد بقيت حتى يومنا هذا موزعة بين مختلف المصادر. وقد لقيت أساطير أنبياء الإنجيل والعرب القدماء ما قبل الإسلام تطورا لاحقا في المجتمع الإسلامي. ونورد هنا مثالا يثير الفضول لقصة إسلامية ترتبط باسم عالم كبير في مجال الأدب الشعبي وهو وهب بن منبه (توفي عام ٧٣٥م) وتتميز هذه الأسطورة بمضمونها الشيق: " قال وهب: أوحى الله إلى هود بالصحيفة فرض عليه فيها بالحج إلى الكعبة المشرفة. كما أوحى إليه بالحروف التسع والعشرين ولذا فقد ارتقت اللغة العربية على غيرها من اللغات جميعا. حيث تحتوي اللغات الأخرى كالعبرية والسوزية على الحروف الاثنين والعشرين فقط. وهناك أسطورة أخرى عن العنقاء - العصفور الضخم. قال ابن الكلبي: كان لدى سكان منطقة الرس نبي يدعى حنظلة بن صفوان وكان لديهم جبل يحمل اسم دمخ يرتفع إلى عنان السماء لمسافة ميل وكان أهناط طائرا ضخما يبدو الأضخم بين الطيور يهبط على الجبال دائما ويهاجم الطيور الأخرى ويلتهمها. وذات مرة حضر الطائر وبدا له أن الطيور الموجودة غير كافية فهاجم صبيا واختطفه. وقد أطلق الأهالي على الطائر اسم "عنقاء مغرب"، حيث لا يعود عادة ما يقوم هذا الطائر باختطافه. ثم هاجم هذا الطائر على صبية صغيرة وأخذها وضمها إلى جناحيه وغادر بعيدا (كان لديه زوجان من الأجنحة: زوج كبير الحجم والآخر صغير). وقد اشتكى سكان الرس للنبي حنظلة فقال لهم: "يا إلهي خذه يا رب. احرمه الخلف وابتليه بمصيبة!" وقد أصيب الطائر بومضة برق فاحترق. وعادة ما يذكره العرب كحكاية ذات مغزى أو كأمثولة في أشعارهم".

وخلافا للأساطير تتناول **قصص النقل الشفهي** أحداثا حقيقية رغم أنه وأثناء عملية القص وإعادة نقل الحكاية لاحقا يمكن أن نلاحظ الكثير من ملامح الخيال. وعامة تضم ليس فقط نصوصا فلكلورية بل ومؤلفات لكتاب بعينهم. وقد قام علماء اللغة العرب بتحديد مجموعة قصص النقل الشفهي العربية القديمة، حيث تحدثوا عن ثلاثة أنواع أساسية منها: القصص النثرية ذات المضمون التاريخي (الأخبار والأيام)، وحكايات النسل والأنساب، والأشعار. وقد شهدت القرون الوسطى تطورا متناميا لحكايات الأيام والأخبار. وقد تأثر كل من علم التأريخ العربي والأدب بما يسمى الحكايات القحطانية والتي انتشرت وتبلورت في القرنين السابع والثامن وتضم "الأخبار والقصص التي تعكس تاريخ جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام". ثم تظهر حكايات إسلامية تدور عن شخصيات إسلامية شهيرة. ونذكر منها قصص النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والتي أصبح ينسب إليها وبشكل متكرر مصطلح "حديث" ولذا نجد بعض المستعربين عادة ما يساوون بين مصطلحي "حديث" و"قصة النقل الشفهي" وهو الأمر الذي يجب أن نقر بعدم صحته. إن مثل هذا الخلط بين المفاهيم يمكن أن يجرنا إلى لبس في المصطلحات. فمصطلح "قصة النقل الشفهي" يجب أن ينسب إلى الحكاية الفلكلورية ذات المضامين التي تتصل بالأنساب أو التاريخ.

إن حكايات "الأنساب" تمثل عادة سردا لشجرة العائلة والقبيلة والأقارب ويتخللها على استحياء بعض القصص القصيرة وتنتمي حكايات الأنساب إلى الحكايات التاريخية. ومن أشهرها في الزمن القديم وفي القرون الوسطى المبكرة "أيام العرب" التي نجدها في عدد من المؤلفات التاريخية وكتب المختارات وبعض جوامع الأمثال.

وبدورها جاءت "أيام العرب" في عدد من سلاسل الكتب اشتهرت بينها وانتشرت حكايات الحروب الطويلة في الجزيرة العربية قبل الإسلام. وكانت الحرب الأولى بين قبيلتي بكر وتغلب والتي أطلق عليها "حروب البسوس". ويقودنا مضمون حكاية "حرب البسوس" إلى فهم ما يلي:

تعتبر البسوس بنت منقذ من قبيلة تميم وهي عمة جساس بن مرة بن زحل الشيباني. وكان لديها ناقة اسمها سراب (في قول آخر – لدى جارها سعد بن شمس الجرمي). وكان كليب بن وائل المتزوج من جليلة أخت جساس قائدا لتحالف قبيلتي تغلب وبكر. (في بعض المصادر يطلق عليه لقب "ملك"). وقد احتل أفضل المراعي وخصها لنفسه ولم يسمح لأحد أن يرعى غنمه فيها باستثناء عديله جساس. وذات مرة شردت ناقة سراب وأخذت ترعى في هذا المرعى. ورآها كليب وأطلق سهمه عليها فأرداها. ولما رأت جارية من عبيد البسوس هذا المشهد أخذت تنوح. فلما سمع جساس نواحها قال لها: "يا امرأة! غدا سنقتل جملا أكبر حجما!". وذات يوم! وعندما توجه كليب إلى الوادي قام جساس باللحاق به ورماه برمح فقتله. وكان أخو كليب المهلهل صديقا لهمام أخي جساس. وعندما كان الصديقان يتناولان معا النبيذ حضرت الجارية وأسرت إلى همام بمقتل كليب. وكان بين مهلهل وهمام عهد بعدم إخفاء أي أسرار فيما بينهما. سأل مهلهل همام عما أخبرته به الجارية. فقال له: "لقد قالت لي إن أخي قتل أخاك!" فصرخ مهلهل قائلا: "أخوك أضيق إسطا من ذلك". وافترق الصديقان القديمان كل إلى قبيلته حيث جمع كل منهما قواته وانهار التحالف بين القبيلتين. وبدأت الحرب بينهما واستمرت ٤٠ عاما.

ووفقا للمصادر استمرت الحرب بين عبس وظبيان التي اندلعت في النصف الثاني من القرن السادس أيضا أربعين عاما. ويطلق على هذه الحرب "حروب داحس والغبراء" وهما اسما حصان وفرسه تسببا في اندلاع هذه الحرب. وكان الحصان داحس مملوكا لزعيم قبيلة عبس قيس بن زهير، أما الغبراء فكانت مملوكة لحذيفة بن برد من قبيلة فزار. وقام مالكا الفرسين بتنظيم سباق بينهما. فأعاق أتباع حذيفة فوز داحس حتى تسبقه الغبراء. يقوم قيس بقتل أبي قرافة ابن حذيفة وتشتعل الحرب التي امتدت أربعين عاما بين القبيلتين.

وقد مثلت حكاية حرب البسوس لب قصة "الزير" (وهو لقب المهلهل)، فيما حرب داحس والغبراء تعد أحد المصادر الأساسية لسيرة عنترة بن شداد الذي ينتمي إلى قبيلة عبس وأحد أهم المشاركين في حرب داحس والغبراء.

ويورد م. بياتروفسكي نماذج عديدة من هذا النوع الذي انتشر في الفترة المبكرة من القرون الوسطى. إلا أن هذا الجنس الفلكلوري اختفى تقريبا في العصر الحديث.

أما **الحكايات الخقيقية** فهي عبارة عن "حكايات خرافية تتناول الكائنات والظواهر غير الطبيعية" وتحكي "بمنتهى الجدية عن لقاءات ومقابلات مع ممثلي العالم الآخر وهذا ما يميزها عن الحكاية السحرية التي تتسم باللعب بالخيال". ونجد هذا النوع من الحكايات في الكثير من مؤلفات القرون الوسطى العربية. وعلى وجه الخصوص نجد عددا منها في كتاب القزويني الشهير "عجائب المخلوقات". ويحكي هذا الكتاب عن أحد البدو من قبيلة بلحارث ولقائه مع فتاة اختطفها عفريت ونضال هذا البدوي مع العفريت. ونجد في الكتاب أيضا حكاية أحد الرعاة عن "صوت سماوي" أنقذ أحد الغنم من ذئب، وقصة إبراهيم بن المهدي عن أحد الشيوخ الذي خرج عليه من أحد أركان قبو تحت الأرض. ويندر أن نقابل هذا النوع من الحكايات في العصر الحديث وهو ما يسهل تبريره بتطور العلوم والتقنية الأمر الذي أدى إلى تقويض وتآكل الخرافات من الوعي الشعبي.

وتتسم **الأكاذيب** بقصرها من حيث الشكل وخلوها من الموضوع (خلافا للحكاية). وهناك مصطلحات عربية عديدة استخدمت للدلالة على الأكاذيب وهي: الأكاذيب والتكاذيب والخرافات والخزعبلات. وعادة ما تستخدم في صيغة الجمع. وقد قام عالم اللغة البصري المبرد في القرن التاسع الميلادي بتخصيص فصل كامل من أربعين صفحة من كتابه في الأدب "الكامل" لفن الأكاذيب البدوية وحمل هذا الفصل العنوان التالي: "تكاذيب العرب".[1] ونجد في هذا الفصل تحديدا قصة بدوي يحكي عن تجربته في

(١) المبرد الكامل. ليبزيج. ١٨٧٥. ص ص ١٤٦-١٥٢.

اصطياد ظبيا: "رميت ظبيا بسهمي ذات مرة، فقفز الأخير مهرولا في اتجاه اليمين وسهمي يطير في أثره؛ صعد الظبي إلى أعلى وطار السهم خلفه؛ هبط الظبي والسهم خلفه حتى أصاب الضحية!"[1] وفي العصر الحديث عادة ما نجد الأكاذيب ترد ليس كونها نصوصا مستقلة بذاتها، بل كونها جزءا من الحكايات السحرية. وعلى سبيل المثال نجد العالم سبيتابي في حكايته المصرية المدونة عام ١٨٨٠م، والتي تدور حول صياد وابنه، يورد بعض الأكاذيب على لسان قصاص غير عادي وهو طفل حديث الولادة!

ولتقييم الفن الكلامي للقاص الذي يستخدم الأكاذيب، يجب أن نذكر موضوع الحكاية. يقع أحد الملوك في حب زوجة صياد ويقرر قتله ليتزوج منها. وطبقا لنصيحة وزيره يقوم بتكليف الصياد بمهام تبدو مستحيلة التنفيذ: أن ينسج سجادة تصلح لتغطية قاعة ضخمة؛ أن يحضر إليه طفلا عمره ثمانية أيام ليحكي له حكاية كاذبة من أولها إلى آخرها. ويتمكن الصياد من تنفيذ كلتا المهمتين. ويقوم الرضيع بسرد هذه الأكذوبة: " عندما كنت في أوج شبابي ذهبت ذات مرة إلى خارج المدينة والتقيت هناك بأحد بائعي البطيخ واشتريت منه واحدة. وقمت بتقطيعها ودخلت بداخلها ووجدت في داخل البطيخة مدينة كاملة! وخرجت من المدينة ورأيت نخلة تمر يشبه حجم كل تمرة فيها حجم مرفق اليد! ودخلت إلى داخل النخلة لأقطف التمور. وإذا بي أرى الفلاحين في أعلى النخلة يبذرون ويجمعون ويدرسون الحبوب. ثم واصلت السير فرأيت شخصا يحفر حفرة في قشرة بيض فتخرج من البيضة ديوك ودجاجات. وتطير الديوك في اتجاه فيما تطير الدجاجات في الاتجاه الآخر. ثم رأيت حمارا عليه حمولة من السمسم. بعد ذلك قفزت خارجا من البطيخة التي بقيت سليمة كما كانت".

فهل من قبيل الصدفة ورود هذا الكم الضخم من السخافات والخروقات للمنطق وهذا اللعب بالخيال؟ نرى أن الأمر ليس صدفة بل هي وسيلة فنية معينة تؤكد تفوق وعلو البطل الرئيسي في الحكاية على الآخرين – أي تفوق الصياد على الملك. فالصياد لا يعرف

---

(١) نفس المرجع. ص ٣٤٨.

المستحيل. وعندما يصيح الملك متعجبا ومندهشا: "هل يصدق هذا أن نجد في البطيخة مدينة كاملة وأن تخرج الدجاجات الكبيرة من البيض؟". ويجيب الرضيع قائلا: "وهل يصدق أن يقتل ملك ووزيره صيادا من أجل امرأة؟". ومن النادر أن نجد أكاذيب من القرون الوسطى تحوي مضمونا عميقا كهذا. فقد كانت وظيفتها الأساسية تتمثل في الاستهزاء من "الكذابين" أو السخرية الخفيفة من البدو الجهلاء الذين هم على استعداد لتصديق أي أكذوبة (وربما يكون هذا هو الهدف من إدراج المبرد فصلا عن الأكاذيب في كتابه).

وننتقل الآن لبحث جنس أو فن فلكلوري آخر يتمتع بالانتشار وهو النكتة. وتتميز النكتة بقصرها وبلوغ الذروة في الموضوع ثم النهاية غير المتوقعة[1]. وقد انضمت النكات، مثلها مثل الأمثال، مبكرا إلى الأدب العربي غير أنه من السهل ملاحظة الأصول الفلكلورية لكثير من نصوص هذا الفن. وقد استخدمت النكات في فترة ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية. وربما شهدت تلك الفترة تأليف مجموعات من النكات عن الشعراء والتي وردت فيما بعد في الدواوين وكتب المختارات و"كتاب الأغاني". وعلى سبيل المثال كانت هناك مجموعة من النكات تناولت الشاعر حاتم الطائي والذي اشتهر بكرمه الشديد. ومن بين هذه النكات نذكر: "قال يعقوب بن السكيت: ذات مرة أنفق حاتم كل أملاكه. ورقد للنوم ثم استيقظ وفجأة وجد حوله مائتي ناقة أو نحو ذلك. فربطها مع بعضها البعض وأخذها إلى إخوانه في القبيلة. قالوا له: " يا حاتم! استبق هذه النوق لنفسك. فهي ثروة حصلت عليها ولا تعود إلى الإسراف مرة أخرى". فرد عليهم قائلا: "سأقسم عليكم هذه النوق كما كنت أفعل في السابق" واستمر حاتم في تقسيم أمواله حتى أفلس".

وقد شهدت القرون الوسطى ميلاد عدد كبير من النكات سواء في البيئة البدوية أو في المدن. وقد صدرت كتب سلاسل من النكات: عن البدو، وعن الأذكياء والأغبياء، وعن البخلاء والكرماء، وعن شخصيات تاريخية أو فلكلورية. وإليكم بعض الأمثلة:

---

(١) جوسيف ف. جمالية الأدب الشعبي. ليبتجراد. ١٩٦٧. ص ١٢٧.

نكتة عن بدوي ظريف جاءت في كتاب ف. روزين[1]: "حكي لي أحد البدو المنتقلين إلى مدينة البصرة: جاء إلى أحد البدو من الصحراء فأسكنته عندي في داري. وكان لدي الكثير من الدجاج وزوجة واثنان وابنتان. قلت لزوجتي: "اطهي لنا دجاجة وقدميها على الغداء". وعندما تم إعداد الطعام جلسنا جميعا: أنا وزوجتي وابناي وابنتاي والرجل البدوي. أعطيناه الدجاجة وقلنا له: "قسمها بيننا". (أردنا أن نضحك عليه قليلا). فأجاب: "أنا لا أجيد القسمة ولكن إذا كنتم سترضون قسمتي فإني سأقسمها بينكم". فقلنا: "سنكون راضين" فأخذ رأس الدجاجة وقطعها وأعطاها لي قائلا: "الرأس للرئيس" وقطع الجناحين وقال: "الجناحان للابنين". ثم قطع الأرجل وقال: "الأرجل للابنتين". ثم قطع المؤخرة وقال "العجز للعجوز" ثم أخذ الجزء الأكبر لنفسه قائلا: "الزور للزائر". وهكذا سخر هو منا. وفي اليوم التالي قلت لزوجتي: "اطهي لنا خمس دجاجات". وعندما كان الغداء جاهزا قلت له: قسمها بيننا". فأجاب: " لقد ظننت إنكم قد غضبتم مني". فأجبناه: "لا لم نغضب. قسمها". فسألنا: " كيف أقسم زوجيا أم فرديا؟". فأجبنا: " قسم فرديا". فقال: "أنت وزوجتك والدجاجة - ثلاثة!" وألقى لنا بواحدة. ثم قال "ابناك الاثنان والدجاجة - ثلاثة!" وألقى لنا دجاجة أخرى. ثم قال: " ابنتاك والدجاجة -ثلاثة" وألقى لنا بالدجاجة الثالثة. ثم قال: "أنا والدجاجتان المتبقيتان - ثلاثة" وأخذ الدجاجتين وضحك علينا. ثم رأى كيف ننظر إلى دجاجتيه وقال: "لماذا تنظرون؟ ربما لا ترضون بقسمتي الفردية؟ لا يمكن القسمة بشكل آخر. هل تريدون أن تكون القسمة زوجية؟" فقلنا "نعم". أخذ مرة أخرى الدجاجات الخمس إلى ناحيته وقال: "أنت وابناك والدجاجة - أربعة" وألقى لنا بواحدة. وقال "العجوزة والبنتان والدجاجة -أربعة" وألقى إليهم بالدجاجة الثانية. ثم قال "أنا والدجاجات الثلاثة المتبقية - أربعة". وأخذ ثلاث دجاجات ورفع يديه إلى السماء قائلا: "الحمد لك يا رب على إلهامك إياي!"

---

(١) روزين ف. الفكاهة البدوية. ١٨٨٨. ص ص ١٢٦-١٢٨.

ويبرز في هذه النكتة موضوع فلكلوري وهو "قسمة الدجاجة" وهو موضوع شهير في العالم كله ومنتشر لدى كثير من الشعوب. وقد اشتهرت أيضا في الفلكلور العربي في القرون الوسطى النكات التي تتحدث عن اللصوص الأذكياء والمهرة. وهناك كتب لمجموعات من هذه النكات أقدمها من تأليف الجاحظ (للأسف لم يبق هذا الكتاب إلى يومنا هذا). وهناك نص قصير عثر عليه في "كتاب الأذكياء" لابن الجوزي الشهير والذي يعود إلى القرن الثاني عشر. ويمنحنا هذا النص تصورا عن سمات هذه النكات. " أخبرنا محمد بن أبي طاهر. حكى لنا أبو القاسم التنوخي نقلا عن أبيه: نام أحد الأشخاص في مسجد وتوسد محفظته وكان بها ١٥٠٠ دينار. وقال هذا الرجل فيما بعد: لم أشعر بشيء سوى أن أحد الأشخاص يسحب المحفظة من أسفل رأسي. استيقظت مرتعدا ورأيت شابا يخطف المحفظة ويفر هاربا. أردت أن أجري وراءه ولم أستطع. فقد كانت قدماي موثوقتين بحبل مربوط بوتد في الطرف الآخر للمسجد. "

وقد صدرت سلاسل كاملة في تلك الفترة تضم نكات عن الحكام المسلمين. وقد نال الخليفة هارون الرشيد نصيب الأسد بين أبطال النكات من حيث الشهرة. وقد وردت النكات التي تتحدث عنه في الأساس أو تلك التي يمثل جزءا منها في كتاب "ألف ليلة وليلة" وفي كثير من المجموعات الأدبية المختلفة. ومن بين النكات الثلاث التي ذكرت في النسخة الأكثر انتشارا من كتاب "ألف ليلة وليلة" نذكر النكتة التالية: "يحكى أيضا أن أمير المؤمنين هارون الرشيد شعر ذات مرة ليلا بقلق شديد وقرر السير قليلا في قصره ورأي عبده تهتز وتتمايل من فرط السكر (وكان الخليفة يعشق تلك العبدة ويكن لها حبا طاهرا وعظيما). فشرع في مغازلتها ويقربها إليه. فسقط رداؤها على الأرض وانفك إزارها وأخذ الخليفة يطلب منها أن تقترب فقالت له: "أعطني فرصة حتى غدا مساء يا أمير المؤمنين. فإنني لم أستعد جيدا لك حيث لم أكن أعلم بحضورك". فتركها الخليفة وغادر. وعندما انقضى الليل وأشرقت الشمس أرسل إليها خادمه ليخبرها بأن الخليفة سيأتي إليها في غرفتها، فقالت للرسول أن يخبره: "كلام الليل يمحوه النهار". ويأمر الخليفة

شعراء البلاط بتأليف قصيدة تضم هذه الكلمات "كلام الليل يمحوه النهار". ويقوم شعراء ثلاثة بارتجال تلك الأشعار. ومن بين هؤلاء الشعراء الشاعر أبو نواس الذي استطاع وصف لقاء الخليفة مع العبدة شعرا رغم أنه لم يشهد هذا اللقاء بنفسه. "و أمر الخليفة بمنح كل شاعر صرة من النقود باستثناء أبي نواس حيث أمر بقطع رأسه وقال: "لقد كنت معنا بالقصر ليلا" أجاب أبونواس "أقسم بالله أنني لم أنم في تلك الليلة خارج منزلي إلا أن كلامك قد أوحى إلي بمضمون القصيدة". وقال "الله أكبر وهو أصدق القائلين. أما الشعراء فهم مخادعون. ألا ترى أنهم يتجولون في كل وادي ويقولون ما لا يفعلون؟" فسامحه الخليفة وأمر بمنحه صرتين من المال ثم غادر الشعراء مجلسه".

ونعتقد أن هذه النكتة قد أدرجت في كتاب "ألف ليلة وليلة" عن مصدر مكتوب. غير أن النكتة نفسها قد جاءت بأوجه مختلفة من حيث النص ويمكن إرجاع هذا الاختلاف إلى الأصل الفلكلوري للنكتة.

أما الشاعر الذي تجسد في هذه النكتة فهو الشاعر الشهير أبو نواس (٧٦٢ – ٨١٣ م). وقد كان بطلا لكثير من النكات التي شكلت مجموعة كاملة وخاصة. ونورد هنا نكتة أخرى عن أبي نواس وهارون الرشيد لم ترد في كتاب "ألف ليلة وليلة": قرر هارون الرشيد أن يفتش على أسواق مدينة بغداد ويتأكد أن كل شيء على ما يرام. وتوجه مع أتباعه إلى السوق الرئيسي والتقى هناك بأبي نواس. وكان الأخير يسير وفي يده زجاجة من نبيذ. سأل الخليفة أبا نواس قائلا: "ما هذا الذي في يدك؟". أحس الشاعر بالحرج وأخفى الزجاجة خلف ظهره ونقلها إلى يده اليسرى ومد يده اليمنى قائلا: لا شيء يا أمير المؤمنين. فأمره الخليفة قائلا: أرني يدك اليسرى. فنقل أبو نواس الزجاجة إلي يده اليمنى ومد يده اليسرى إلى الخليفة قائلا: انظر يا أمير المؤمنين، لا شيء في يدي. فقال له الخليفة: أرني يديك الاثنين. فرجع أبو نواس إلى الحائط بظهره ووضع الزجاجة بين ظهره والحائط وثبتها ومد يديه الاثنين قائلا: هاهما يداي يا أمير المؤمنين. ألم تقتنع بعد أنه لا شيء بهما؟"

وعلى الأرجح اقتبست نكات جحا شخصية تيمورلنك من مجموعات النكات التركية عن نصر الدين. (الاسم التركي الأصلي هو تيمور). ومن النكات التي تدور حول تيمورلنك وجحا ما يلي: " ذات مرة اصطحب تيمور جحا معه ليريه كيف يضرب الجنود بسهامهم. أخذ جحا يتململ إلا أن تيمور أرغمه على التصويب. فأخذ جحا القوس وأطلق سهما فأخطأ الهدف وقال: "هكذا يطلق رئيسنا السهم". ثم صوب مرة ثانية فأخطأ مرة أخرى وقال: "هكذا يصوب حاكمنا". وفي المرة الثالثة أصاب الهدف فصاح مزهوا: "هكذا أصوب أنا". فابتسم تيمور وأجزل له العطاء". ونجد النكتة نفسها في بعض مجموعات النكات التركية التي تدور عن البطل نصر الدين.

ويتشابه نموذجا كل من جحا والخوجه نصر الدين من حيث كونهما شخصيتين فلكلوريتين تحملان ملامح الرجل الماكر المغفل، الحكيم الغبي في الوقت نفسه.

وقد تم وضع المجموعة الأساسية للنكات العربية عن جحا في القرن السابع عشر[1]. حيث صيغت في شكل أدبي. أما فيما يتعلق بالتقاليد الفلكلورية في هذه النكات فيمكن القول إن هذه التقاليد ما زالت قائمة حتى يومنا هذا. وتتمتع شخصية جحا بشهرة خاصة في الأدب الشعبي لدول المغرب العربي. ومن النكات الشهيرة عن جحا في موريتانا التي تقع في أقصى الوطن العربي نكتة دونت عام ١٩٦٩م على يد يو. زافادوفسكي نقلا عن الطالب محمد فاضل. ونص النكتة كما يلي: "ذات يوم كان جحا يسير في الشارع إلى أن قابل ثورا. قام الثور ونطح جحا. هرب جحا ولكن الثور أخذ يجري خلفه. وخلال بعض الوقت اختفى جحا عن نظر الثور وفي اليوم التالي كان جحا يسير إلى أن رأى الثور مربوطا في شجرة جذورها صلدة. وتعرف جحا على الثور فأخذ فرع شجرة بلوط متين وأخذ يضرب الثور به. وضرب الثور كثيرا إلى أن جاءه مالك الثور وقال له: "ما بك تضرب ثوري يا هذا؟" فرد جحا عليه قائلا: " ألا تعرف القصة يا هذا؟

(١) ديربيشاليف إ. الأدب المغربي المكتوب بالعربية. ألماطي. ١٩٨٣. ص ٨٢.

الأمر لا يتعلق بي ولابك. لكن اسأل الثور فهو من يعرف القصة جيدا" وقد اشتهرت هذه النكتة في بلاد بعيدة جدا عن موريتانيا: حيث عرفت في كل من تركيا واذربيجان وإيران وآسيا الوسطى. غير أنها ترتبط في هذه المناطق الشرقية باسم نصر الدين.

وفي بعض الأحيان نجد شخصيات دون أسماء تأخذ مكان جحا في نكات كثير من البلدان العربية. فهناك نكتة مغربية تحكي كيف قام جحا بالحصول على النقود من جاره ليجهز لابنه. إلا أنه لم يستطع تجهيز الأرجوحة حتى قبل ميلاد حفيده. وقد قام ف. سبيتابي بتدوين النكتة نفسها في مصر إلا أن البطل فيها ليس جحا بل أحد النجارين.

وأحيانا، وإن كان من النادر، تظهر شخصية نصر الدين في النكات العربية. (أحيانا نصر الدين وأحيانا أخرى ناصر الدين). ومنها النكتة التي تدور عن نصر الدين وزوجته. وقد دونت هذه النكتة في مدينة الموصل على يد أحمد الصوفي.[1] وفيما يلي مضمون النكتة: عاش نصر الدين أربعين عاما لم يعمل فيها يوما واحدا. وقد أصاب ذلك زوجته بالملل في النهاية حيث كانت هي التي تقوم بإطعام الأسرة. فاشترت لنصر الدين حمارا وعطورا وخرزا وإبرا وخيوطا واقترحت على زوجها أن يتاجر بهذه الأشياء في القرى أو يستبدلها بالحبوب. وركب نصر الدين على حماره ولكن الأخير لم يتحرك! نزل من على الحمار وحاول أن يوجهه للسير إلا أن الحمار لم يطعه. وعندئذ أخذ نصر الدين إبرة كبيرة ووخذ بها الحمار فقفز الأخير من الألم وهرب. ولم يستطع نصر الدين أن يلحق به. فوخذ نفسه بالإبرة وجرى خلف الحمار. فصرخت الزوجة المذهولة: "ماذا بك؟" ورد عليها قائلا: "جاءك الغم يا ملعونة يا ابنه الملعون! هيا فلتحاولي اللحاق به!"

وربما أنه ليس من قبيل الصدفة أن تدون هذه النكتة في مدينة الموصل. فهذه المدينة اعتبرت دائما مركزا تختلط فيه المجموعات الإثنية السكانية. فبالإضافة إلى العرب

---

(١) أحمد الصوفي. حكايات المثل الشعبية. بغداد. ١٩٦٢. ص ص ١١٤-١١٧.

كانت المدينة موطنا للأكراد والترك والأشوريين والأرمن والتركمان واليهود وغيرهم من الشعوب. وقد ساعد ذلك على توفير إمكانية نادرة لاقتباس واستعارة مختلف المواضيع الفلكلورية.

ويحتاج تأريخ فن النكتة في التقاليد الأدبية والفلكلورية العربية إلى التحليل الجاد والمعمق. وقد جرت بعض المحاولات لتتبع تطور النكتة في مختلف البلدان العربية[١] ومختلف سلاسل الكتب[٢] من أجل تحقيق هذا الهدف.

المسرح الشعبي

لقد قمنا سابقا بذكر الآثار المكتوبة والتي عكست أعمال المسرح الشعبي العربي في القرون الوسطى. غير أن هذه المجموعة من الفنون كانت قائمة بلا ريب قبل زمن ابن دانيال بفترة طويلة وقبل ظهور مسرحية "المنار" (منارة إسكندرية). وقد نشط مسرح الظل في بداية العصر العباسي. "هدد عباد المضحك وابن طباخ الخليفة المأمون، أحد الشعراء ويدعى ديبيل، عندما عزم الأخير أن يكتب هجاء فيه: "لأخرجن أمك في الخيال" (أي أنه سيعرض أمه على مسرح الظل). وقد جاءت المصادر أيضا" على ذكر السماجات (أو الممثلين الكوموديين) في مصر أثناء الاحتفالات وفي بغداد في رأس السنه بقصر الخليفة حيث كانوا يقومون بأدوارهم مرتدين أقنعة" وللأسف لم تحفظ مجموعات المسرحيات الأولى لهؤلاء الممثلين إلي يومنا هذا.

غير أنه يمكننا العثور في الشعر الشعبي وأحيانا المؤلف على أصداء محددة وربما مواد لاسترجاع مسرحيات المسرح العربي الشعبي. (لا شك أن فن المسرح آنذاك لم ينحصر في مسرح الظلال أو الخيال). ولا نستثني إمكانية أن يتضمن المسرح الشعبي على وجه

---

(١) عبد الوهاب. النكات المصرية. بيروت. ١٩٤٨.

(٢) نفس المرجع.

التحديد جذورا لإشعار شهيرة تنتمي إلى فن "المفاخرة". ولم تكن تلك الأشعار تغنى بل تعرض كمشهد يقوم به شخص أو اثنان. ومما يؤكد صلة وارتباط الفن الشعري "المفاخرة" بالفلكلور إغفال توقيع معظم هذه المؤلفات وقرب بعض القصائد المؤلفة لهذا الفن من الأغاني الشعبية من حيث الشكل واللغة. وقد وردت ست عشر من هذه المؤلفات في كتاب واحد وهو فهرس المخطوطات الذي وضعه العالم ف. الفردتا مع الإشارة أحيانا أو عدم الإشارة إلى أسماء المؤلفين. ومن الأمثلة الواضحة لفن المفاخرة ذلك الحوار الذي جرى بين القاهري والفلاح والذي نشره ف. ليبيديف.

ونورد هنا بعض مقتطفات من القصيدة: يتحدث القاهري بفخر عن مدينته التي تمتلئ بالأريج العطر وانتشار المرمر في كل مكان حيث كل بيت تحفة معمارية. وعن حي القصرين حيث ترى ما يسر العين.

فيرد الفلاح بأن المدينة لا نفع منها فكل شيء فيها غالي الثمن ولا يوجد بها شخص شبعان وجميع من فيها يشكون ضيق المكان وبيوتها باهظة الثمن وروائحها تزكم الأنوف.

فيرد القاهري على الفلاح ويقترح عليه أن يريه ما ينبت في بيته من فواكه وخضروات وكل ما يشتهيه ويطلب منه أن يذهب إلى صانعي الورق ليشتم رائحة طيبة وأنه يستطيع أن يشتري ما يشاء بسهولة وأنه لن يترك المدينة أبدا حتى لو قطعه إلى مائة قطعة.

فيرد الفلاح أنه لا يستطيع العيش وسط هذه الأطلال وأنه لا يحب شيئا أكثر من قريته ويقرته التي يحلبها فإذا أردت التبضع امتطيت حماري وملأت سلتي بالخيرات التي تذخر بها ناحيتي من دقيق وسمن وبيض!

ويستمر الجدل بنفس الطريقة والروح، حيث يمتدح القاهري حمامات البخار بوصفها أحد مظاهر قوة الحياة المدنية فيرد عليه الفلاح بهدوء: "سأحكي لك عن حمامي الذي أستحم فيه وسط المروج!" ويقوم كل منهما بمدح طعامه وملابسه.

ويصيح الفلاح مندهشا: "ولو أعطوني القاهرة بأكملها خالصة لي لن أعيش هناك أبدا!" وفي النهاية يقترح القاهري الصلح على الفلاح:

أقسم بالله أن نتصالح!
فمن الظلم أن نضرب بعضنا بعضا
والشر أبدا لا يأتي بخير
ومن يحب الشر لا يربح أبدا!
والمدينة والقرية متساويان إلا أن قلبي مع القاهرة!
فلنتصالح! سامحني يا ربي!
وأنت أيها الفلاح سر في طريقك!

ويمكننا تخيل كيف حظيت هذه القصيدة بالاهتمام من المستمعين وكم التأثير الذي أوقعه ردود وتعليقات شخوصها على الحضور. وعلى الأرجح لم يكن الحضور مستمعين فحسب بل متفرجين أيضا. والسبب في ذلك الاعتقاد أن منشد القصيدة لم يكن يقرأ النص بوتيرة صوتية واحدة بل كان يشخص مشهد النقاش الجدلي هذا أمام الحضور في القاعة مقلدا في ذلك طريقة كلام والتصرفات المعتادة لكل من القاهري أو الفلاح. وقد تواجد هؤلاء الممثلون المقلدون (حاكيه) المتجولون في الخلافة العربية منذ العصور العباسية المبكرة. ونذكر منهم الممثل ابن المغازلي الذي عاش إبان فترة حكم الخليفة المعتضد (حكم في الفترة من ٨٩٢ إلى ٩٠٢ م). وقد ذكره المسعودي في كتابه. وكان هؤلاء الذين يؤدون فن المفاخرة إما أنهم أنفسهم مقلدون محترفون أو أنهم كانوا يستفيدون من خبرات هؤلاء.

وتستمر تقاليد فن "المفاخرة" منذ القرون الوسطى وحتى العصر الحديث حيث تتجسد في كل من الشعر الشعبي وشعر المؤلف على السواء. وفي نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهرت قصائد شعبية تتناول جدلا بين كل من التلغراف والهاتف، وبين التلغراف والسكك الحديدية. وبالإضافة إلى الأمثلة الحية على تطور التقاليد

الفلكلورية جاءت تلك القصائد مثلها مثل الحكايات الشعبية لتمثل أهمية في التعبير عن الإنجازات التقنية في الأدب الشعبي. وقد شهدت ثلاثينيات القرن الماضي قيام الشاعر اللبناني مراد الخوري بكتابة قصيدة فكاهية بعنوان "جدل بين النبيذ والقهوة". وتتسم هذه القصيدة من ناحية اللغة والمضمون بثرائها وغناها بالكلمات والتعابير التي تنتمي إلى اللهجات المحلية وهي في ذلك كثيرة الشبه بالفلكلور. "بعد فترة من الجدل الظريف والطريف يذهب كل من النبيذ والقهوة إلى القاضي ليفصل بينهما. وفي النهاية يقرر القاضي أن كليهما ضار للإنسان. ويقوم الخوري في مشهد المحكمة بإرغام القاضي العالم على الحديث بلغة مختلفة ردا على السؤال "أخبرنا، من أحسن من من؟" ونجد هنا استخدام اللغة الدارجة أمرا طبيعيا عندما يأتي على لسان النبيذ والقهوة. وفيما يتعلق بالقاضي نجد المؤلف يصبغ على لغته صبغة دارجة حياتية إلا أنه وعند النطق بالحكم تحدث بلغة العالم. . . . " ونستشعر بوضوح تأثير المسرح الشعبي في قصيدة مراد الخوري من وجه نظر أكثر اتساعا (حيث نجد تشابها في التناول التاريخي والجغرافي للأحداث).

ويمكن القول إن المسرح الشعبي العربي لم يحظ بدراسة كافية. حيث انحصر اهتمام الباحثين بشكل أساسي على مسرح الخيال والظلال.[١] وقد جاء ذكر الأنواع الأخرى من المسرح الشعبي في العصور الوسطى والحديثة في الدراسات التي تناولت تاريخ المسرح العربي[٢]. وتحتاج جميعها إلى المزيد من الدراسة المفصلة. والجدير بالاهتمام أيضا دراسة تأثير المسرح الشعبي العربي على أدبي القرون الوسطى والحديث.

---

(١) تيموفييف إ. ابداعات الأديب المصري في القرن الثالث عشر محمد بن دانيال. رسالة دكتوراه. موسكو. ١٩٧٥.

(٢) بوتينتسيفا ت. ألف عام وعام على المسرح الشعبي. موسكو. ١٩٧٧. ص ص ٣٩-٧٩.